

الأسبــاب العقديــة لإجابــة الدعـــاء

من خلال حديث "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلا حَزَنٌ،..."

دراسة استنباطية عقدية

إعداد الدكتورة:

أمـل بنت سليمـــان بن عبـد الله الموســى

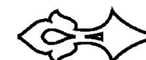
أستـــاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة المساعد

جامعـــة الأمـيرة نـــورة بنت عبد الرحمن



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية



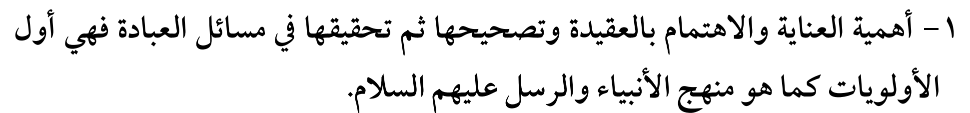



مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية

المستخلــص:

هذا بحث في [الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال حديث: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ،..." دراسة استنباطية عقدية]،

تناولت فيه أسبابا عقدية لإجابة الدعاء استنبطتها من الحديث والشريف، وقد جاء هذا البحث في مقدمة يتلوها تمهيد ومبحثان وخاتمة، أما المقدمة فقد بينت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه، ثم كان التمهيد الذي جاء في بيان معنى السبب، والدعاء في اللغة والاصطلاح، ثم جاء المبحث الأول في شرح حديث: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ..." ، وفيه مطلبان: المطلب الأول: بيان معاني المفردات الواردة في الحديث، المطلب الثاني: بيان الهدي النبوي في التعامل مع الهم والحزن، أما المبحث الثاني: فقد كان في الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال الحديث: وجاء في أربعة مطالب؛ المطلب الأول: تحقيق التوحيد وأثره في إجابة الدعاء؛ لمطلب الثاني: التسليم والرضى بالحكم والقضاء وأثره في إجابة الدعاء؛ المطلب الثالث: تحقيق الذل والانكسار وأثره في إجابة الدعاء؛ المطلب الرابع: اليقين وأثره في إجابة الدعاء؛ ثم كانت الخاتمة وتتضمن النتائج ومنها:



١- أهمية العناية والاهتمام بالعقيدة وتصحيحها ثم تحقيقها في مسائل العبادة فهي أول الأولويات كما هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٢- أهمية التمسك في الدعاء بألفاظ الأدعية الشرعية لكمالها في ألفاظها ومعانيها، وجلال مقاصدها ومدلولاتها.

٣- أن من أعظم الأسباب العقدية لإجابة الدعاء تحقيق التوحيد، وأن مبنى العبودية والإيمان بالله، على التسليم، وعدم الخوض في تفاصيل الحكمة في الحكم والقضاء.

٤- أن في الهدي النبوي نصوص كثيرة تدل على سبل الوقاية والعلاج الناجع الشامل للأمراض البدنية والنفسية، وهذا من دلالات كمال الدين، وإحكام الملة، وصلاحية شريعة الإسلام لكل زمان ومكان.

مصطلحات البحث: الأسباب- الدعاء -الحزن-التوحيد-التوسل-اليقين- القضاء والقدر.

The nodal reasons for answering the du'aa 'through the hadeeth "What has never happened to anyone is anxiety, not grief,…" A deductive deductive study

By: Prof:Amal Bint Sulaiman bin Abdullah Al-Mousa
Assistant Professor of Creed and Contemporary Doctrines
Princess Noura bint Abdulrahman University
E.MAIL:drasat103@gmail.com



Abstract:
This research in [the reasons for the nodal answer to the prayer through the talk: "What has never hurt them or sadness،..." a study of the deterministic contract] ،

In the introduction، I explained the importance of the subject، the reasons for its selection، the research plan، and my methodology in it. Then it was the preamble which was stated in the statement of the meaning of reason، and the du'aa 'in it. The first question is the statement of the meaning of the words mentioned in the hadeeth. The second requirement is the statement of the Prophet's guidance in dealing with concern and sorrow. The second topic: it was in the reasons for the nodal answer to the prayer of Kh The fourth demand: the certainty and its effect on the answer to the question; the third requirement: the achievement of humiliation and refraction and its impact on the answer to the supplication; The du'aa '، then the conclusion and includes the results، including:

1- the importance of care and interest in the doctrine and correct and then achieve in matters of worship is the first priority as is the approach of the prophets and messengers peace be upon them.
2- The importance of adhering to the du'aa 'in the words of the supplications of the shar'i in its words and meanings، and the majesty of its purposes and meanings.
3- One of the greatest reasons for the nodal answer to the call to achieve unification، and that the building of slavery and faith in God، on the delivery، and not go into the details of wisdom in the government and the judiciary.
4- in the guidance of the Prophet many texts indicate the means of prevention and effective treatment of comprehensive physical and psychological diseases، and this is the signs of Kamal religion، and the strictness of the religion، and the validity of the law of Islam for all time and place.

Search terms: reasons - supplication - grief - unification - begging - certainty - judgment and destiny

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة:

إن الحمـد لله نحمـدهُ ونسـتعينهُ ونسـتغفرهُ، ونعـوذُ بـالله مـن شـرور أنفسـنا، وسـيئات أعمالنـا، مـن يهـده الله فـلا مضـل لـه، ومـن يُضـللْ فـلا هـادي لـه، وأشـهدُ أنَ لا إلـه إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، أما بعد..

جبـل الله تعـالى الـدنيا علـى المشقة، والعبـد مـن يـوم ولادتـه إلـى زمـن موتـه وهـو عرضـة للمصـائب والآلام، قـال تعـالى: ﴿لَقَـدْ خَلَقْنَـا الإِنسَـانَ فِـي كَبَـدٍ﴾ [البلـد: ٤]. وقـد تفضـل الله سـبحانه وتعـالى علـى عبـاده بنعمـة كبـرى، ومنحـه عظمـى وهـي الـدعاء حيـث أمـرهم بالـدعاء ووعـدهم بالإجابـة، وكـان مـن الأدعيـة المسـتجابة لـدفع الهـم والحزن قوله-ﷺ-:

"مَـا أَصَـابَ أَحَـدًا قَـطُّ هَـمٌّ وَلَا حَـزَنٌ فَقَـالَ اللَّهُـمَّ إِنِّي عَبْـدُكَ وَابْـنُ عَبْـدِكَ وَابْـنُ أَمَتِـكَ نَاصِيَتِي بِيَـدِكَ مَـاضٍ فِيَّ حُكْمُـكَ عَـدْلٌ فِيَّ قَضَـاؤُكَ أَسْـأَلُكَ بِكُـلِّ اسْـمٍ هُـوَ لَـكَ سَـمَّيْتَ بِـهِ نَفْسَـكَ أَوْ عَلَّمْتَـهُ أَحَـدًا مِـنْ خَلْقِـكَ أَوْ أَنْزَلْتَـهُ فِـي كِتَابِـكَ أَوْ اسْـتَأْثَرْتَ بِـهِ فِـي عِلْـمِ الْغَيْـبِ عِنْـدَكَ أَنْ تَجْعَـلَ الْقُـرْآنَ رَبِيـعَ قَلْبِـي وَنُـورَ صَـدْرِي وَجِـلَاءَ حُزْنِـي وَذَهَـابَ هَمِّـي إِلَّا أَذْهَـبَ اللهُ هَمَّـهُ وَحُزْنَـهُ وَأَبْدَلَـهُ مَكَانَـهُ فَرَجًـا قَـالَ فَقِيـلَ يَـا رَسُـولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَـا فَقَـالَ بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا"(١).

وهـذا الحـديث قـال عنـه ابـن القـيم-رحمـه الله- (ت ٧٥١هـ): "وأمـا حـديث ابـن

(١) رواه أحمد واللفظ له في: مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند المكثرين من الصحابة، رقم: [٣٥٨٣]، وابن حبان في: صحيح ابن حبان: كتاب الرّقائق: باب الأدعية، رقم: [٩٨٤]، وغيرهما، وإسناده صحيح كما في " سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها " ١/ ٣٨٢ – ٣٧٨، رقم: [١٩٨-١٩٩].

مسعود-رضي الله عنه-:" اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ "ففيه من المعارف الإلهية، وأسرار العبودية، ما لا يتسع له كتاب"[1].

ولما كان ومن المعارف الإلهية التي اشتمل عليها هذا الحديث أنه حوى أسبابا عقدية لإجابة الدعاء آثرت اختيار هذا الموضوع: [أسباب إجابة الدعاء من خلال حديث: "مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا" دراسة استنباطية عقدية] ليكون موضوع البحث.



أهمية الموضوع:

١ - أهمية العناية والاهتمام بالعقيدة وتصحيحها ثم تحقيقها في مسائل العبادة فهي أول الأولويات كما هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام.

٢- أن موضوع البحث هو دراسة عقديه لأحد الأدعية المأثورة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

٣- مكانة هذا الحديث حيث أنه من الأدعية المستجابة.

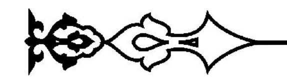
سبب اختياره:

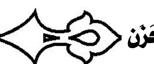
١ - النصيحة للرسول ﷺ ببيان المعاني التي اشتمل عليها هذا الحديث العظيم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال فيه: "يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا" ".

---

(١) زاد المعاد: ٤/ ١٨٩.









٢- بيان أن من أعظم أسباب إجابة الدعاء تحقيق التوحيد.

أهداف البحث:

١- استنباط ودراسة الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال حديث:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ... ".



٢- بيان الهدي النبوي في علاج الحزن والهم.

٣- الكشف عن العلاقة بين تحقيق التوحيد وإجابة الدعاء.

٤- توضيح الفرق بين التسليم والرضا، والحكم والقضاء.

٥- بيان التوسل المشروع وأثره في استجابة الدعاء.

مشكلة البحث:

١- ما هي الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال حديث:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ... "؟

٢- كيف عالج الهدي النبوي الحزن والهم؟

٣- ما مدى العلاقة بين تحقيق التوحيد وإجابة الدعاء؟

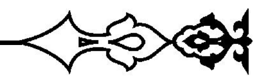
٤- ما هو الفرق بين التسليم والرضا، والحكم والقضاء؟

٥- هل هناك توسل المشروع يؤثر في استجابة الدعاء؟

الدراسات السابقة:

بعد البحث في الدراسات السابقة لم يفرد أحد بالبحث -حسب علمي- الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال حديث:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ" بدراسة مستقلة، وأبرز دراسة وقفت عليها تناولت الأسباب العقدية لإجابة الدعاء في جملة من الموضوعات هي:

ـ (حديث ابن مسعود في دفع الهم والحزن) لـ ـ أ. د محمد بن عبد العزيز العلي،



وهي دراسة عقدية متميزة للحديث تبرز ما فيه من مسائل عقدية كبرى تعد أصولا عظيمة من: الإيمان بالله، وتوحيده بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، كما تضمنت الإشارة إلى الإيمان بقضاء الله وقدره، وكمال عدله، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والاستعانة به، والتوسل إليه بأسمائه الحسنى، والتعلق بكتابه العظيم الذي تضمن شفاء الصدور وجلاء القلوب.



أ ما موضوع هذا البحث فهو في دراسة الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال هذا الحديث دراسة استنباطية من ألفاظه.

حدود البحث:

سيتناول البحث استنباط ودراسة الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال حديث:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ... "

منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج الوصفي الاستنباطي.

خطة البحث: - هذا البحث يقع في مقدمة يتلوها تمهيد ومبحثان وخاتمة.

التمهيد في بيان معنى السبب، والدعاء في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول: شرح حديث:" مَا أصَابَ أحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ... ". وفيه مطلبان:

المطلب الأول: بيان معاني المفردات الواردة في الحديث، وفيه ثلاث مسائل:

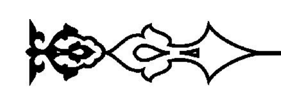
المسألة الأولى: معنى الهم والحزن والفرق بينهما.

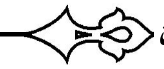
المسألة الثانية: معنى الناصية والمراد من تخصيصها.

المسألة الثالثة: معنى الربيع للقلب والنور للصدر.

المطلب الثاني: بيان الهدي النبوي في التعامل مع الهم والحزن. وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الحكمة من ابتلاء العبد بالهم والحزن.





المسألة الثانية: بيان الهدي النبوي في التعامل مع الهم والحزن.

المبحث الثاني: الأسباب العقدية لإجابة الدعاء من خلال حديث:" مَا أصَابَ أحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ... ":

المطلب الأول: تحقيق التوحيد وأثره في إجابة الدعاء؛ وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: تحقيق توحيد الألوهية.

المسألة الثانية: تحقيق توحيد الربوبية.

المسألة الثالثة: تحقيق توحيد الأسماء والصفات.



المطلب الثاني: التسليم والرضى بالحكم والقضاء وأثره في إجابة الدعاء؛ وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى التسليم والرضى والفرق بينهما.

المسألة الثانية: معنى الحكم والقضاء والفرق بينهما.

المسألة الثالثة: التسليم والرضى بالحكم والقضاء وأثره في إجابة الدعاء.

المطلب الثالث: تحقيق الذل والانكسار وأثره في إجابة الدعاء؛ وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: انكسار القلب.

المسألة الثانية: انكسار النفس.

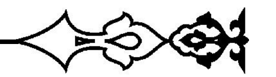
المسألة الثالثة: انكسار الجسد.

المطلب الرابع: اليقين وأثره في إجابة الدعاء؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: معنى اليقين بالله تعالى.

المسألة الثانية: تحقيق اليقين وأثره في إجابة الدعاء.

ثم كانت الخاتمة مع التوصية.





التمهيــد

بيان معنى السبب والدعاء لغة واصطلاحا:

١ـ معنى السبب لغة واصطلاحا:

- **السبب لغة:**

السبب في اللغة له معان منها: المودة، والمنازل، والحبل، والوصلة والذريعة، وكل شيء يتوصل به إلى غيره والجمع أسباب[(١)].

قال" الرازي ":" والسَّبَبُ: الحبل وكل شيء يتوصل به إلى غيره "[(٢)]

- **السبب اصطلاحا:**

ما يلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم، لذاته[(٣)]

وقد أمر الله-ﷻ-بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل عليه، وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين[(٤)]:

١-الأسباب الجائزة وتسمى الأسباب الشرعية: هي كل سبب نافع في حصول المسبَّب، ولم ينه الشرع عنه نهي تحريم.

٢- الأسباب غير الجائزة: هي كل سبب نهى عنه الشرع نهي تحريم، كالسرقة مثلا سبب لحصول المال، لكنه سبب محرم منهي عنه شرعا-، أو كان أمرا مباحا في نفسه، لكن لم يثبت أنه سبب في حصول المسبَّب -كلبس حلقة لاتقاء الأمراض- فهذا تحريمه من جهة اعتقاده سببا.

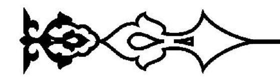
---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤ / ٤٦٠. تهذيب اللغة للأزهري ١٢/ ٢١٩-٢٢٠، مختار الصحاح للرازي ١ / ١١٩، النهاية في غريب الحديث٢/ ٣٢٩.

(٢) مختار الصحاح ١ / ١١٩.

(٣) انظر: شرح الكوكب المنير: لابن النجار ١/ ٤٤٥، روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة ١ / ٢٤٧.

(٤) انظر: موقع إسلام ويب، رقم الفتوى: ٢٨٦٩١٨.





وقد يقع الشرك في باب الأسباب: إما باعتقاد سببية ما ليس سببا، أو بالتعلق بالسبب النافع مع الغفلة عن الاعتماد عن الله سبحانه وتعالى.

وبالجملة ينبغي أن يعرف في الأسباب أمور[1]:

– أن السبب المعين لا يستقل بالمطلوب، بل لابد معه من أسباب أخر، ومع هذا فلها موانع. فإذا لم يكمل الله الأسباب، ويدفع الموانع، لم يحصل المقصود.

– لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئًا سببًا بلا علم أو يخالف الشرع، كان مبطلاً، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء.

– أن الأعمال الدينية لا يجوز أن يتخذ منها شيء سببًا إلا أن تكون مشروعة، فإن العبادات مبناها على التوقيف،

فلا يجوز للإنسان أن يشرك بالله، فيدعو غيره ـ وإن ظن أن ذلك سبب في حصول بعض أغراضه ـ وكذلك لا يُعْبَد الله

بالبِدَع المخالفة للشريعة ـ

– أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومَحْو الأسباب أن تكون أسبابا نَقْصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدْحٌ في الشرع.

٢ـ معنى الدعاء لغة واصطلاحا:

الدعـــاء لغة:

قال" ابن فارس "(دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل

(١) الواسطة بين الحق والخلق: لابن تيمية ١/ ٤٤، ٣٣.

الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء[1].

الدعاء شرعًا:

أجمع ما قيل في الدعاء -كما ظهر لي والله أعلم- تعريف الإمام" الخطابي "-رحمه الله: فقد عرفه بأنه: استدعاءُ العبدِ ربَّه عزَّ وجلَّ العنايةَ، واستمدادُه منه المعونةَ. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرُّؤ من الحول والقوّة، وهو سمةُ العبودية، واستشعارُ الذلَّة البشريَّة، وفيه معنى الثناء على الله عزَّ وجلَّ، وإضافة الجود والكرم إليه"[2].



---

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٩. وانظر: لسان العرب ٥ / ٢٦٧-٢٧٠. النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير ٢/ ١٢٠-١٢٢.

(٢) شأن الدعاء للخطابي ص٤، وانظر: لسان العرب ٥/ ٢٦٧، المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني ٣١٥

وقد ورد الدعاء في القرآن الكريم على وجوه، منها:

١- العبادة، كما في قوله تعالى: {وَٱصبِر نَفسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدعُونَ رَبَّهُم بِٱلغَدَاةِ وَٱلعَشِيّ يُرِيدُونَ وَجهَهُۥ} [الكهف: ٢٨]،

٢- الطلب والسؤال من الله سبحانه، كما في قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُم ٱدعُونِى أَستَجِب لَكُم} [غافر: ٦٠].

٣- الاستغاثة، كما في قوله تعالى: {قُل أَرَأَيتُكُم إِن أَتَىٰكُم عَذَابُ ٱللهِ أَو أَتَتكُم ٱلسَّاعَةُ أَغَيرَ ٱللهِ تَدعُونَ إِن كُنتُم صَٰدِقِينَ * بَل إِياه تَدعُونَ فَيَكشِفُ مَا تَدعُونَ إِلَيهِ إِن شَاء وَتَنسَونَ مَا تُشرِكُونَ} [الأنعام: ٤٠، ٤١]،

٤- النداء، كما في قوله تعالى: {يَومَ يَدعُوكُم فَتَستَجِيبُونَ بِحَمدِهِ} [الإسراء: ٥٢]،

٥- توحيد الله وتمجيده والثناء عليه، كما في قوله تعالى: {قُلِ ٱدعُوا ٱللهَ أَوِ ٱدعُوا ٱلرَّحمَٰنَ} [الإسراء: ١١٠].

٦- الحثّ على الشيء، كما في قوله تعالى: {قَالَ رَبّ ٱلسّجنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدعُونَنِى إِلَيهِ} [يوسف: ٣٣]،

٧- رفعة القدر، كما في قوله تعالى: {لَيسَ لَهُ دَعوَةٌ فِى ٱلدُّنيَا وَلاَ فِى ٱلآخِرَةِ} [غافر: ٤٣].

٨- القول، كما في قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعوَاهُم إِذ جَاءهُم بَأسُنَا إِلا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ} [الأعراف: ٥].

- **وينقسم الدعاء إلى ثلاثة أقسام**(١):

-الأول: دعاء العبادة: وهو شامل لجميع القربات الظاهرة والباطنة. وهذا النوع لا يصح صرفه لغير الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

- الثاني: الدعاء بحاجة العبد وفقره وذل(٢).

- الثالث: دعاء المسألة: وهو طلب الداعي ما ينفعه وما يكشف ضره، وفيه تفصيل:

أ- إذا كان الدعاء لمخلوق قادر حي حاضر فيما يقدر عليه فجائز لا حرج فيه.

ب- إذا كان الدعاء لمخلوق في ما لا يقدر عليه إلا الله وحده، سواء كان المدعو حيّا أو ميتا، أو حاضراً أو غائبا، فهذا

كفر أكبر مخرج من الملة(٣)، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

العلاقة بين أنواع الدعاء:

- أن الأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور

٩- سؤال الاستفهام، كما في قوله تعالى: {ٱدعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنَ لَّنَا مَا هي} [البقرة: ٦٨]. انظر: موقع: إسلام ويب- المقالات، القرآن الكريم، ألفاظ قرآنية

(١) انظر: النبوات ١٣٦، مجموع الفتاوى ١٥/ ١٠، بدائع الفوائد ٣/ ٢.، تصحيح الدعاء ١٧، فتح المجيد ١٦٦-١٦٨.

(٢) انظر: تفسير ابن القيم لابن القيم الجوزية ١/ - ٢١٥-٢١٤.

(٣) انظر: كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية، ١٦٥، فتح المجيد ١٦٦ والقول المفيد على كتاب التوحيد: لابن عثيمين ١/ ١١٧.

الثلاثة كان أكمل[1].

- دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة، فالداعي يدعو للنفع والضرِّ دعاءَ المسألة،

ويدعو خوفًا ورجاءً دعاءَ العبادة[2].

ولأن النبي عليه الصلاة والسلام قال في هذا الحديث: "يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا" كان لابد لمن يسمع هذا الحديث أن يعلم معناه. إذ أن الإيمان بالشيء فرع عن تصوره، فإذا لم يفهم المرء المعاني نقص إيمانه، فإلى بيان المعاني التي اشتمل عليها هذا الحديث العظيم، وهو موضوع المبحث الآتي:

---

(١) انظر: تفسير ابن القيم لابن القيم الجوزية ١/ - ٢١٥-٢١٤.

(٢) انظر: الفتاوى ابن تيمية ١٥/ ١٠-١٤، بدائع الفوائد: لابن القيم ٣/ ٣.

المبحث الأول

شرح حديث: " مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ..."

وفيه مطلبان:

المطلب الأول بيان معاني المفردات الواردة في الحديث، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى الهم والحزن والفرق بينهما.

- الهم لغة:

قال "الخليل بن أحمد": "الهم: ما هممت به في نفسك، والهم: الحزن، يقال: أهمني الشيء، والهمة: ما هممت به من أمر لتفعله ويقال: أهمني الشيء: أذابني، والمهمات من الأمور الشدائد"[(١)].

قال "ابن فارس" : الْهَاءُ وَالْمِيمُ: أصل صحيح يدل على ذَوْبٍ وجريان ودَبِيب وما أشبه ذلك، ثم يقاس عليه. منه قول العرب: هَمَّنِي الشيء: أذابني، وأما الْهَمُّ الذي هو الحُزْنُ فعندنا من هذا القياس، لأنه كأنه لشدته يَهُمُّ، أي يُذِيبُ[(٢)].

- **الحزن لغة:**

جاء في (العين): للعرب في الحزن لغتان، يقال: أصابه حُزْن شديد، وحَزَن شديد، إذا جاء الحزن منصوبا فتحوه وإذا جاء مرفوعا أو مكسورا ضموا الحاء، والُحزْن من الأرض والدواب: ما فيه خشونة[(٣)].

وقال "ابن فارس" : الحاء والزاي والنون أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدة فيه. فمن ذلك الحَزْنِ، وهو ما غلظ

---

(١) انظر كتاب العين ٤/ ٣٢٤.

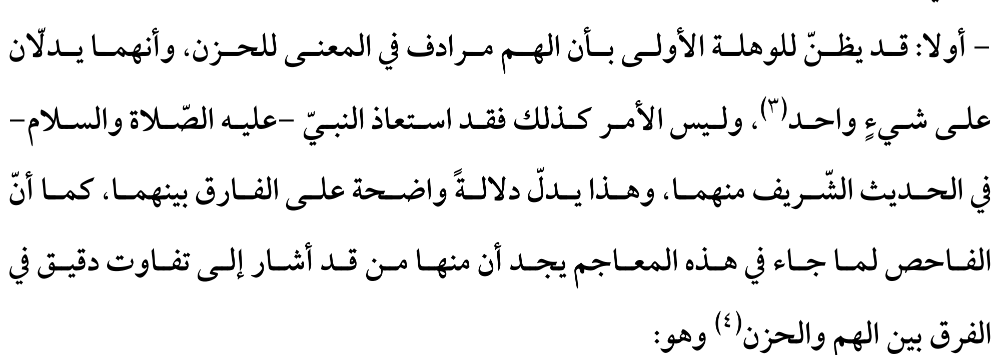
(٢) انظر: مقاييس اللغة٦/ ١٣-١٤.

(٣) انظر٣/ ٣١٣.

من الأرض. والحُزْنُ معروف، يقال: حَزَنَنِي الشيء يَحْزُنُنِي[1].

- **الفرق بين الهمّ والحزن**[2]:

إنّ المتأمّل فيما جاء في معاجم اللغة في بيانها لمعنى مفردتي الهمّ والحزن يخلص بالآتي:



- أولا: قد يظنّ للوهلة الأولى بأن الهم مرادف في المعنى للحزن، وأنهما يدلّان على شيءٍ واحد[3]، وليس الأمر كذلك فقد استعاذ النبيّ -عليه الصّلاة والسلام- في الحديث الشّريف منهما، وهذا يدلّ دلالةً واضحة على الفارق بينهما، كما أنّ الفاحص لما جاء في هذه المعاجم يجد أن منها من قد أشار إلى تفاوت دقيق في الفرق بين الهم والحزن[4] وهو:

- أن الهم هو الحزن الذي يذيب الإنسان، والحزن هو خشونة في النفس لما يحصل فيها من الغم، فالهم أشد من الحزن، يوضحه:

- أن الفرق بينهما في:

---

(1) مقاييس اللغة ٢/ ٥٢. وانظر: الصحاح٥/ ٢٠٩٨-٢٠٩٩، تهذيب اللغة٤/ ٣٦٤-٣٦٥، لسان العرب، المصباح المنير١/ ١٣٤، القاموس المحيط ١٥٣٥. مفردات ألفاظ القرآن٢٣١، النهاية في غريب الحديث ١/ ٣٨٠.

(2) التفريق في هذه المسألة هو تفريق بين الهم الذي بمعنى الحزن، وليس الهم بمعنى: (هم بكذا) وإن كان بينهما التقاء، انظر: الفروق اللغوية لأبي الهلال العسكري١٠٣-١٠٤.

(3) انظر كتاب العين ٤/ ٣٢٤، الصحاح للجوهري٥/ ٢٠٦١- ٢٠٦٣، تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ٣٨١-٣٨٤، مقاييس اللغة٦/ ١٣-١٤، المصباح المنير للفيومي٢/ ٦٤١، القاموس المحيط ١٥١٢-١٥١٣، النهاية في غريب الحديث ٥/ ٢٧٤-٢٧٥.

(4) انظر: مقاييس اللغة٦/ ١٣-١٤، لسان العرب ١٥/ ٢٥، وانظر كتاب العين ٤/ ٣٢٤، الصحاح للجوهري٥/ ٢٠٦١- ٢٠٦٣، تهذيب اللغة للأزهري ٥/ ٣٨١-٣٨٤.

أ- الشدة والضعف: فإن أصل معنى الهم يدل على ذَوْبٍ، يقال أهمني المرض بمعنى أذابني، وانهم الشحم إذا ذاب، وهمه أذابه، وسمي به ما يعتري الإنسان من شدائد الغم لأنه ببدنه أبلغ وأشد من الحزن الذي أصله الخشونة.

ب- الزمن:

فالحزن الذي تطول مدته حتى يذيب البدن يسمى الهم؛ فالهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى، فيكون فيما يستقبل، والحزن فيما وقع في الماضي[(١)].

- ويشتركان في:

أ- أن الهم والحزن مشاعر سلبيّة تصيب العبد في هذه الحياة وهما قرينتان في المكروه الوارد على القلب فما كان من مستقبل يتوقعه أحدث الهم، وما كان من ماض أحدث الحزن[(٢)].

ب- استعاذ النبي ﷺ منهما لما فيهما من شدة الضرر على البدن، وإذابة قواه، وتشويش الفكر والعقل، والانشغال بهما يفوِّتان على العبد الكثير من الخير، وانشغال الفؤاد والنفس عن الطاعات والواجبات، هذا إن كان الهمّ والحزن في أمور الدنيا، أما همّ الآخرة، فهو محمود؛ لأنه يزيد في الطاعة، ويبعث النفس على الجدّ، والعمل، والمراقبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَن جعلَ الهمومَ همًّا واحدًا، همَّ آخرتِهِ، كفاهُ اللهُ همَّ دُنْياهُ، ومَن تشعَّبت بِهِ الهمومُ في أحوالِ الدُّنيا لم يبالِ اللهُ في أيِّ أوديتِها هلَكَ"[(٣)].

---

(١) انظر: فتح الباري: لابن حجر: كتاب: الدعوات، باب: الاستعاذة من الجبن والكسل، رقم[٦٠٠٨]، عون المعبود شرح سنن أبي داود: كتاب: الصلاة: باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، رقم: [١٥٥٥]،

(٢) انظر: بدائع الفوائد٢/ ٢٠٧.

(٣) صحيح ابن ماجه للألباني،، حديث رقم: [٢٠٩ | وقال: حديث حسن.



المسألة الثانية: معنى الناصية والمراد من تخصيصها.

- **معنى الناصية لغة:**

قال "ابن فارس" : "النون والصاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على تَخَيُّر وخَطَر في الشَّيء وعُلوّ. ومنه النَّصِيَّة من القَوم ومن كلِّ شيءٍ: الخيار. ومنه النَّاصية: سمّيت لارتفاع منبتها، والناصية قُصَاص الشَّعْر"(1).

فالناصية قصاص الشعر في مقدم الرأس، ومَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاالله آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا: أي مالكها، والقادر عليها، وإنما خص الناصية ؛ لأن العرب تستعمل ذلك إذا وصفت إنسانا بالذلة والخضوع ؛ فيقولون: ما ناصية فلان إلا بيد فلان ؛ أي إنه مطيع له يصرفه كيف يشاء(2).

- **المراد من تخصيصها.**

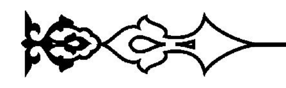
وقد وردت لفظة الناصية في مواضع من القرآن الكريم: قال الله جل ثناؤه: ﴿كَلا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ [العلق: ١٥-١٦]،. وقال جل ذكره: ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[هود: ٥٦]. وقال سبحانه: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]،

وإذا جمعنا أقوال المفسرين في معاني هذه النصوص يخلص بالآتي:

١ - أطلق الناصية وأراد صاحبها على أسلوب، إطلاق البعض وإيراد الكل فبلاغيا

(1) انظر: مقاييس اللغة٢/ ٥٦٢، العين ٤/ ٢٣٠، تهذيب اللغة ١٢/ ٢٤٤.

(2) انظر: تفسير القرطبي ٩/ ٤٧-٤٨.



يطلق البعض ويراد به الكل[1].

٢- أن الناصية هي مركز القيادة والتوجيه لسلوك الإنسان وفي ذلك وجه من وجوه الإعجاز العلمي[2]، ورد على من رأى أن هذا الوصف وإن كان واردا للناصية - التي تعنى مقدم الجبهة - إلا أنه لا يوصف بهذه الأوصاف على الحقيقة؛ لأنه جزء عظمى من الرأس فاكتفى بذكر الناصية من الوجه كله، إذ كانت الناصية في مقدم الوجه.

وهذا الوجه في الإعجاز العلمي يبرز في مسألة لم تُحل وتتضح كيفيتها إلا حديثا وهي أن القرآن الكريم قد خص منطقة الناصية أو مقدم الرأس دون بقية الأعضاء بالكذب والخطأ وتجريمها بلفظ السفع وهو القبض على الشيء وجذبه بشدة تصويرا لمحاسبة العضو المسئول حقيقة عن السلوك في الإنسان، وهذا الجزم في خصها وحدها بالمؤاخذة قبل اكتشاف دورها في توجيه السلوك وتمييز الشخصية لا تفسره مصادفة عند فطين.

---

(١) انظر: ابن كثير ٨/ ٤٣٧-٤٣٨، ٤/ ٣٢٩-٣٣٠، ٧/ ٤٩٩، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١١-١١٢، ٩/ ٤٧-٤٨، ١٧/ ١٩٥، تفسير السعدي ٨/ ١٩٨١-١٩٨٢، ٣/ ٧٥٣-٧٥٤، ٨/ ١٧٥٨.

(٢) أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل: الناصية بين العلم والإيمان http: //www. kahee17. com /ar /index. php

موقع "الهيئة العالمية للكتاب والسنة": الناصية ووظيفة الفص الجبهي للدماغ - أ. د محمد يوسف سكر. https: //www. eajaz. org. وانظر: بحث للشيخ عبد المجيد الزنداني بعنوان: إعجاز القرآن في الناصية.

http: //www. neuroskills. com /tbi /bfrontal. shtml.

http: //web4health. info /en /answers /adhd-cause-frontal. htm

. الحقيقة العلمية:

يحتوي دماغ الإنسان على فصوص رئيسة أربعة هي: الفص الأمامي Frontal Lobe، والفص الخلفي Occipital Lobe، والفص الصدغي Temporal Lobe، والفص الجداري Parietal Lobe، ولكل فص دور وظيفي ينفرد به عن الآخر، وفي نفس الوقت هي مكملة لبعضها البعض، والفص الأمامي يتميّز عن نظيره في الحيوان بأن المناطق المسئولة عن السلوك وعن الكلام متطورة وبارزة من الناحية التشريحية والوظيفية، وهو يحتوي على عدة مراكز عصبية تختلف فيما بينها من حيث الموقع والوظيفة وهي: القشرة الأمامية الجبهية Pre-Frontal Cortex وتقع مباشرة خلف الجبهة وهي تمثل الجزء الأكبر من الفص الأمامي للمخ، وترتبط وظيفتها بتكوين شخصية الفرد ولها أيضًا تأثير في تحديد المبادرة Initiative والتمييز Judgment، ثم مركز بروكا لحركات النطق Motor Speech Area of Broca ويقوم بتنسيق الحركة بين الأعضاء التي تشترك في عملية الكلام كالحنجرة واللسان والوجه، ثم مناطق الحركة وتشمل الحقل العيني الجبهي Frontal Eye Field ويقوم بالتحريك المتوافق للعينين إلى الجهة المقابلة، ومركز حركة العضلات الأولي والثانوي Primary & Secondary Motor Areas وكليهما مسئولان عن حركة العضلات الإرادية، وهكذا ثبت أن مقدمة الفص الأمامي القابعة في عمق الناصية هي الموجهة للسلوك والمميزة للشخصية.



• ولقد كانت بداية معرفة الناس بوظيفة الفص الأمامي الجبهي في عام ١٨٤٢م، حين أصيب أحد عمال السكك الحديد

في أمريكا بقضيب اخترق جبهته، فأثر ذلك في سلوكه ولم يضر بقية وظائف الجسم، فبدأت معرفة الأطباء بوظيفة الفص الجبهي للمخ، وعلاقته بسلوك

الإنسان.

• وكان الأطباء يعتقدون قبل ذلك أن هذا الجزء من المخ الإنساني منطقة صامته لا وظيفة لها. فمن أعلم محمد صلى الله عليه وسلم بأن هذا الجزء من المخ (الناصية) هو مركز القيادة للإنسان والدواب وأنه مصدر الكذب والخطيئة.

في عام ٢٠٠٣ قام بعضهم بتجربة رائعة لكشف أسرار الكذب. لقد كان هدف التجربة محاولة ابتكار جهاز لكشف الكذب، وهل من الممكن أن نستخدم هذا الجهاز في التحقيق مع المجرمين؟ وقد كان سر الإجابة في معرفة المنطقة المسؤولة عن الكذب أولاً.

وبعد إجراء التجارب والتقاط العديد من الصور لجميع أجزاء الدماغ وجد العلماء أن الإنسان عندما يكذب فإن هنالك نشاطًا كبيراً تظهره الصور المغنطيسية بطريقة تسمى functional magnetic resonance imaging في منطقة محددة من الدماغ وهي منطقة أعلى ومقدمة هذا الدماغ وهو ما يسمى في اللغة العربية بناصية الإنسان،

المسألة الثالثة: معنى الربيع للقلب والنور للصدر.

ـ معنى الربيع للقلب:

الربيع: هو المطر المنبت للربيع، فلما يسأل العبد الله أن يجعل القرآن ربيع قلبه فإنما يسأل الله أن يجعل القرآن ماء

يحيي به قلبه كما يحيي الأرض بالربيع، فيكون القلب بالقرآن في جنات وأنهار ونعيم وإن كانت الأجساد في نصب ووصب،

والقلوب أحوج إلى ربيعها من الأبدان إلى ربيعها[1]، كما أن الإنسان يرتاح قلبه في

(١) انظر مجموع الفتاوى ١٨/ ٣١٠-٣١٣.

الربيع من الأزمان ويميل إليه[١] وأيضا

كما أن الربيع سبب ظهور آثار رحمة الله تعالى وإحياء الأرض بعد موتها، كذلك القرآن سبب ظهور تأثير لطف الله من الإيمان والمعارف وزوال ظلمات الكفر والجهل والهم[٢].

ـ معنى النور للصدر:

النور: أي يشرق في قلبي نوره الذي أميز به الحق من غيره، والنور مادة الحياة وبه يتم معاش العباد.

*- الحياة والنور جماع الكمال كما قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام: ١٢٢)، فبالحياة يخرج عن الموت، وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل فيصير حيا عالما وهو كمال الصفات في المخلوق.

*- إذا نزل الربيع بأرض أحياها ولكنه لا يتعدى محله. أما النور فإنه ينتشر ضوءه عن محله. فجعل الربيع في القلب والنور في الصدر لانتشاره، قال "ابن القيم" - رحمه الله-: "ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسري منه إلى القلب؛ لأنه قد حصل لما هو أوسع منه. ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب تسري الحياة منه إلى الصدر ثم إلى الجوارح؛ سأل الحياة له بالربيع الذي هو مادتها"[٣].

*-ولما كان الحزن والهم يضاد حياة القلب واستنارته، سأل أن يكون ذهابها

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٨٨

(٢) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لمحمد المباركفوري ٨/ ٢٠٧.

(٣) الفوائد: ٢٦.

بالقرآن، فإنها أحرى ألا تعود، وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد، فإنها تعود بذهاب ذلك[1].

المطلب الثاني: بيان الهدي النبوي في التعامل مع الهم والحزن:

المسألة الأولى: الحكمة من ابتلاء العبد بالحزن والهم:

*- ليعلم العبد أنه خلق في كبد قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، وأنه لا بُدَّ لِه في هَذِهِ الدُّنيَا مِن شَيءٍ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ وَالكَدَرِ، ولن يخلو أن يصاب بمصائب في نفسه أو في بدنه ومصائب أو في أهله، أو غير ذلك؛ ولن يسلم أحد من الحزن إما بفوات محبوب أو بحصول مكروه.[2]

وأثر الحزن والهم على القَلبِ يكون بِقَدرِ مَا فِيهِ مِن إِيمَانٍ ويقين، فَمَتى قَوِيَ إِيمَانُ العَبدِ بِاللهِ وَزَادَ يَقِينُهُ وسَكَنَت رُوحُهُ وَاطمَأَنَّ قَلبُهُ، وقوي روحا وجسدا على تقبل المصائب والتعامل معها وفق هدي نصوص الشرع الرحيمة الحكيمة.

ومما يعين العبد على تلقي المصائب بنفس راضية مطمئنة:

١- أن يعلم العبد أن الدنيا جبلت على المصائب والأكدار وأنها لن تصفو لأحد ولو صفت لصفت لخير خلق الله وهم

الأنبياء والرسل -عليهم السلام-.

٢- أن يجدد يقينه بأن الصبر عبادة من أجل العبادات وأنها العبادة التي أطلق الله سبحانه الجزاء عليها وجعلها بغير حساب﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، فيحدث نفسه ويشحذها بقوله: يا نفس إنه أجر بغير حساب وممن؟ من الكريم الجواد.

---

(١) انظر: المرجع السابق.

(٢) انظر: زاد المعاد: لابن القيم ٤/ ٢٥١.

٣- لابـد أن يقـف العبـد مـع نفسـه موقـف الناصـح المشـفق ويـذكرها أن هـذا الأجـر بغيـر حسـاب لابـد لـه مـن أركـان ثلاثـة ليـدخل في منزلـة الصـابرين حقـا، وأن سـقوط ركـن مـن هـذه الأركـان الثلاثـة يعرضـه لفقـد هـذا الأجـر العظـيم، وهـذه الأركـان إذا قـام بهـا العبـد كمـا ينبغـي انقلبـت المحنـة في حقـه منحـة، فـإن الله سبحانه وتعـالى لـم يبتلـه ليهلكـه، وإنمـا ابـتلاه ليمـتحن صـبره وعبوديتـه، فـإن لله تعـالى علـى العبـد عبوديـة الضـراء، ولـه عبوديـة عليـه فيمـا يكـره، كمـا لـه عبوديـة فيمـا يحـب، وأكثـر الخلـق يعطـون العبوديـة فيمـا يحبـون. والشـأن في إعطـاء العبوديـة في المكـاره، ففيـه تفـاوت مراتـب العباد، وبحسبه كانت منازلهم عند الله تعالى[١]، وهذه الاركان[٢]:



-حـبس اللسـان عـن الشـكوى: فـلا يشـكو حالـه إلا للملـك، وإنـه لجهـل وزلـل أن يشكو العبد الذي يرحم إلى الذي لا يرحم

- وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه.

- حبس النفس عن التسخط على المقدور:

وقـد يـرد هنـا علـى نفـس المصـاب وارد وهـو: أن هـذه المصـائب مؤلمـة، وأقـدار موجعـة فكيـف تحـبس الـنفس عـن الجـزع؛ بـل وتطـاب بالتسـليم والرضـى، فيجـاب: ليعلم العبد المصاب:

أ. أن العبـد في هـذه الحيـاة لـن ينجـو مـن المصـائب مـؤمن كـان أم كـافر لكـن الصـبر علـى المصـيبة عنـد المـؤمن هـو ركـن مـن الأركـان الستة المطالـب بهـا العبـد ليفـوز بتحقيـق مرتبـة الإيمـان فلتهـدأ نفـس المـؤمن وتعلـم أنهـا بتحقيـق الصـبر تنـال شـرف تحقيـق هـذا الـركن، كمـا علـى العبـد ليسـد عـن نفسـه بـاب التسـخط علـى

(١) انظر: الوابل الصيب: ابن قيم الجوزية ٦-٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين: لابن القيم ٢/ ١٦٢.

المصائب أن يذكر نفسه أن الصبر عباده أجرها بغير حساب، فيخاطب نفسه مقنعا لها: هل ستفرطي يا نفس بهذا الربح البين، وكيف لا تصبري يا نفس وأنت تعلمي وتري بأم عينك أن كل مخلوق حي ممن يعقل ومما لا يعقل وقت نزول المصائب لابد له من صبر فإن أنت يا نفس إن لم تصبري صبر الكرام المؤمنين صبرت صبر البهائم. ففقدت الرتبة العلية وفرطت بالأجر الذي هو بغير حساب.

ب. أن من سنن الله الكونية التي لن تجد لها تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا أن الابتلاء على قدر الدين فكلما عظم

الدين عظم البلاء، وليسكب العبد على نفسه لترضى وتطمئن هذا السنة الإلهية المتمثلة في قول الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: عن سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه-قال: سئل النبي -ﷺ-: "أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ:" الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ؛ خَفَّفْتُ عَنْهُ، وَلا يَزَالُ الْبَلاءُ فِي الْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ فِي الأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ "(١)

ج. أن الله تعالى إذا أحب قوما -وليس أبغض قوما- ابتلاهم بالمصائب والأقدار المؤلمة، فالابتلاء هو ليس لبغض للعبد، أو هوانه عند ربه؛ بل لعلو منزلته وهي علامة من الله تعالى بمحبته وإرادة الخير له؛ فإن وجد العبد أن نفسه لم تقنع بل وتستنكر كيف تكون محبة العبد واردة الخير بإنزال المصائب فليقرأ عليها حديث النبي-ﷺ-:" إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ

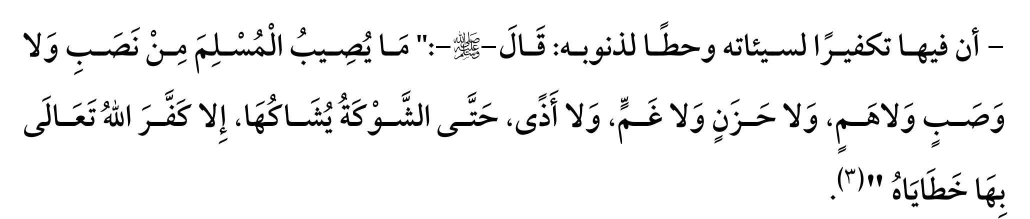
---

(١) رواه الترمذي: كتاب: الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، رقم[٢٣٣٥]، قال الألباني في صحيح الترمذي ٢/ ٥٦٤ حسن صحيح

رَضِـيَ فَلَـهُ الرِّضَـا وَمَـنْ سَـخِطَ فَلَـهُ السَّـخَطُ "[(١)]وحـديث: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ-ﷺ-:" مَـنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ "[(٢)]

وليقـف مـع نفسـه مـع أسـرار هـذه الأحاديـث ويسـتخرج علامـات المحبـة والخيـر في هذه المصيبة التي حلت به ومن تلك الأسرار التي سيخرج بها:

- أن المـؤمن أمـره كلـه خيـر إن أصـابته ضـرّاء صـبر فكـان خيـرًا لـه وإن أصـابته سَـرّاء شكر فكان خيرًاً له.



- أن فيهـا تكفيـرًا لسيئاته وحطًـا لذنوبـه: قَـالَ-ﷺ-:" مَـا يُصِـيبُ الْمُسْـلِمَ مِـنْ نَصَـبٍ وَلا وَصَـبٍ وَلاهَـمٍ، وَلا حَـزَنٍ وَلا غَـمٍّ، وَلا أَذًى، حَتَّـى الشَّـوْكَةُ يُشَـاكُهَا، إِلا كَفَّـرَ اللهُ تَعَـالَى بِهَا خَطَايَاهُ "[(٣)].

قـال الإمـام" ابـن القـيم "-رحمـه الله-:" إن ابـتلاء المـؤمن كالـدواء لـه يسـتخرج منـه الأدواء التـي لـو بقيـت فيـه أهلكتـه أو نقصـت ثوابـه وأنزلـت درجتـه فيسـتخرج الابـتلاء والامتحـان منـه تلـك الأدواء ويسـتعد بـه لتمـام الأجـر وعلـو المنزلـة ومعلـوم أن وجـود هذا خير للمؤمن من عدمه "[(٤)]

فيكون عنده يقين أن الله-ﷻ- ما أخذ منه إلا ليعطيه، وما ابتلاه إلا ليعافيه.

- أن في نـزول هـذه المصـائب تنبيـه للعبـد أن يحاسـب نفسـه في الـدنيا قبـل نـزول المـوت

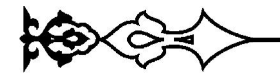
---

(١) رواه الترمذي: كتاب: الزهد عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في الصبر على البلاء، رقم[٢٣٩٦]، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي برقم: (٢٣٩٨).

(٢) رواه البخاري: كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، رقم: [٥٣٢١].

(٣) صحيح مسلم: كتاب: البر والصلة والآداب » باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها٢٥٧٣

(٤) إغاثة اللهفان: لابن القيم ٢/ ١٨٨.



والتطهير بنار الآخرة.

- أن يدرك أن الجزع يزيد في المصيبة ويحبط الأجر ويوجب العقاب، فعلى العبد أن لا يجمع على نفسه بين الأذى وتفويت الثواب، والمصاب مَن حُرم الثواب؛ ويا سعادة مَن رضي بالله ربًا،؛ فتمشى مع أقداره،؛ بطمأنينة قلب وسكون؛ وعلم أن الله أرحم به من والديه.

- أن الله -سبحانه وتعالى- يريد أن تستشعر نعمه عليك، وكم كنت مفرطا بها لم تقدرها حق قدرها، ففي حال المرض يشعر الإنسان شعوراً حقيقياً بنعمة الصحة، ويشعر أيضاً بتفريطه في هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه سنين طوالاً، وهو مع ذلك لم يؤد حق الشكر فيها، ومن ثم يعاهد ربه فيما يستقبل من أمره أن يكون شاكراً على النعماء، صابراً على البلاء[1].

- لعل الله -جل جلاله- أسقاك بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلاً هو فيك ولا تشعر، وإنك أن تبيت نائماً وتصبح نادماً خير من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك أن تضحك وأنت معترف، خير من أن تبكي وأنت مدلّ، وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين[2].

المسألة الثانية: بيان الهدي النبوي في التعامل مع الهم والحزن.

المتأمل في الآيات المتعلقة بالحزن نجد أن الله تعالى لم يأمر به في أي موضع قط، ولا أثنى عليه ولا رتب عليه جزاءً ولا ثواباً، بل على العكس من ذلك، فإن الله تعالى نهى عنه في أكثر من موضع، أو نفاه في مواضع أخرى[3]. فالنهي عنه كقوله تعالى: ﴿وَلَا

(١) انظر: ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب: عزمي عزيز، موقع الألوكة.

(٢) مدارج السالكين ١/ ١٩٧.

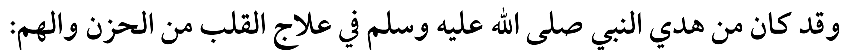
(٣) انظر: المرجع السابق ١/ ٥٤٢.

تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[١٣٩: آل عمران]. والمنفي كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣٨: البقرة].[١]

ذلك أن الهم والحزن لا مصلحة فيها للعبد، فهما يضعفا القلب، ويوهنا العزم ويضرا الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من أن يحزن العبد المؤمن ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه.[٢]



ولقد رسم الهادي البشير منهج متكامل لمواجهة الهم والحزن قبل وبعد وقوعهما ليخرج العبد بالأجر والثواب.



وقد كان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في علاج القلب من الحزن والهم:

- الاستعاذة من الحزن؛ فعن أنس رضي الله عنه أنه قال: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَضَلَعِ الدَّيْنِ وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ "[٣].

- وكان من هديه ﷺ إِذَا حَزَبَه أَمْرٌ صَلَّى[٤]. ومعنى حَزَبَهُ أَمْرٌ: بالحاء المهملة ثم الزاي، قال في النهاية: أي نزل به أمر مهم أو أصابه غم[٥]،، وروي بالنون من الحزن.

- التوجه إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع، ومنها: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ يَقُولُ:" لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ

---

(١) انظر: المرجع نفسه ١/ ٥٤٢-٥٤٨، طريق الهجرتين ٣٢٤-٣٢٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين١/ ٥٤٢.

(٣) رواه البخاري: كتاب: الدعوات، باب: الاستعاذة من الجبن والكسل رقم[٦٠٠٨]،

(٤) رواه أبو داود: كتاب: الصلاة، أبواب قيام الليل، باب: وقت قيام النبي صلى الله عليه وسلم من الليل رقم[١٣١٩]، قال الشيخ الألباني في صحيح أبي داود ١/ ٣٦١ حديث حسن.

(٥) انظر: النهاية ١/ ٣٧٧، عون المعبود شرح سنن أبي داود ١/ ١٤٩.

وَالْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ "(١).

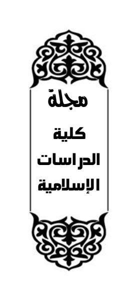
- ماورد عنه من النصوص في بيان أجر الصابر والخير الذي يصيب العبد إذا صبر على ما أصابه -تقدم الإشارة إليها في المبحث السابق.



- بين أن للعبد أن يعبر عن حزنه ولا يحبسه مكبوتًا في داخل نفسه فإنه يترك آثاراً سلبيةً في صحة الإنسان النفسية والجسمية بحثه على كثرة الدعاء وقت المصيبة، والتأكيد على حفظها مع اليقين بإجابتها، ومنها حديث البحث والذي يظهر فيه أسبابا عقدية لإجابة الدعاء يوقف عليها في المبحث الآتي:

(١) رواه مسلم: كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: دعاء الكرب، رقم[٢٧٣٠]





المبحث الثاني

أسباب إجابة الدعاء من خلال حديث:" مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ ":

المطلب الأول: تحقيق التوحيد وأثره في إجابة الدعاء؛ وفيه ثلاثة مسائل:

المسألة الأولى: تحقيق توحيد الألوهية.

التوحيد.. ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين[1]، وهو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠]

والتوحيد في اللغة: ـهو تفعيل وَحَّد يقال:" وحَّدَه وأَحَّدَه كما يقال ثنَّاه وثلَّثة"[2]،" وحّده توحيداً أي جعله واحداً "[3] والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له[4].

أما التوحيد شرعاً[5] فهو: ـ

العلم والاعتقاد الجازم ثم العمل بمقتضى هذا العلم والاعتقاد بأن الله تعالى واحد أحد في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فلا معبود بحق سواه، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، ولا شريك له في الخلق والأمر، قال سبحانه: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ولا مثيل له ولا نظير، بل له -سبحانه وتعالى- الكمال المطلق المنزه عن

---

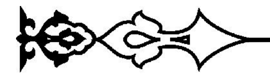
(١) إغاثة اللهفان ٢/ ١٣٥.

(٢) الصحاح ٢/ ٥٤٨.

(٣) القاموس المحيط ١/ ٣٤٣.

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٤٣، وانظر: كتاب التعريفات: للجرجاني ٦٩.

(٥) انظر: دعوة التوحيد: محمد خليل هراس ٧-٨، القول الرشيد: سليمان العلوان ١٩، التنبيهات السنية: عبد العزيز الرشيد٩-١٠.



جميع النقائص قال عز من قائل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

وتحة يق التوح يد يكون بإخلاص العمل لله تعالى وتخليصه وبتصفيتهُ من شوائب الشرك والبدع والذنوب والمعاصي وتكميله بفعل السنن وترك المكروهات[١].

ولتحقيق التوحيد أيضا: لابد للعبد من العلم بأن لهذا التوحيد:

- ما يناقضه وينافيه بالكليـــة.
- ما ينقصه وينافي كمـــاله.

و نواقض التوح يد: هي اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال تزيل التوحيد وتقطعه.[2].

وسُميت نواقض؛ لأن الإنسان إذا فعل واحداً منها فإنه ينتقض إسلامه ودينه، وينتقل من كونه مسلمًا إلى كونه كافراً، ويخرج عن مسمى التوحيد بحيث لا يكون مما يدخل في نطاقه ولا حدوده ولا معناه؛ موجبًا للحكم بالردة في الدنيا وما ينبني عليها، وبالخلود في النار في الآخرة إذا مات وهو على ذلك، ويدخل في هذه النواقض ما يخرج من الملة كالشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر.

أ ما نواقص التوح يد: فهي الأمور التي تنافي كمال التوحيد ولا تنقضه بالكلية، فإذا وجدت عند المسلم قدحت في توحيده

ونقص إيمانه، ولم يخرج من دين الإسلام، وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق

الأكبر؛ فيدخل فيها الشرك الأصغر؛ كيسير الرياء، أو الكفر الأصغر؛ كالحلف بغير

(١) انظر: فتح المجيد: عبد الرحمن بن عبد الوهاب ٥٧.

(٢) نواقض الإيمان القولية والعملية: عبد العزيز العبد اللطيف ٤٩ وانظر: لسان العرب: ٧/ ٢٤٢، تهذيب اللغة: ٨/ ٣٤٤، المفردات: ٨٢١.



الله، أو النفاق الأصغر؛ كمن عادته الكذب في الحديث أو خيانة الأمانة، أو الغدر، فلا يخرج من الملة ولا ينقل عن الإسلام بل ينقص الإيمان بحيث لا يستحق المتصف به مسمى التوحيد الكامل، ويوجب له أحكامًا تتناسب وقدر ما وقع مما ينقص التوحيد الكامل ويستحق العقوبة الا أن يتوب صاحبه غير إنه لا يخلّد في النار، كما يحبط العمل الذي يقترن به ولا يحبط جميع الأعمال.(١)

وهذا التوحيد الذي من حققه دخل الجنة بغير حساب ثلاثة أقسام(٢) كما دلت على ذلك نصوص الكتاب الكريم

وصحيح السنة المطهرة.(٣)

قال الإمام" أبو عبد الله العكبري "-رحمه الله-:" أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته ليكون بذلك مباينًا لمذهب أهل الشرك الذين أقروا

---

(١) انظر: تسهيل العقيدة الإسلامية: عبد الله الجبرين: ١٤٩، وانظر: نواقض الإيمان الاعتقادية: محمد الوهيبي، نواقض الإيمان: محمد السحيم، موقع الألوكة.

(٢) قال الشيخ "بكر أبوزيد" رحمه الله: "هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي السلف أشار إليه "ابن منده" و"ابن جرير الطبري"، وغيرهما، وقرره شيخ الإسلام و"ابن القيم"، وقرره "الزبيدي" في "تاج العروس"، وشيخنا "الشنقيطي" وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن كما في استقراء النحاة كلام العرب إلى اسم وفعل وحرف، والعرب لم تفه بهذا، ولم يعتب على النحاة في ذلك عاتب ... أهـ. التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير ص: ٣٠، القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد: عبدالرزاق البدر ١٧-٢٨، مدارج السالكين ٣/ ٤٦٨-٤٦٩.

بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه إذ قد علمنا أن كثيراً ممن يقربه ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده، ولأنا نجد أن الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها "[1].

ويقول الإمام" الطحاوي "-رحمه الله-" نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره ... "[2].

فقوله:" إن الله واحد لا شريك له "شامل لأقسام التوحيد الثلاثة، فهو سبحانه واحد لا شريك له في ربوبيته، وواحد لا شريك له في ألوهيته، وواحد لا شريك له في أسمائه وصفاته، وقوله:" ولا شيء مثله "هذا من توحيد الأسماء والصفات، وقوله:" ولا شيء يعجزه "هذا من توحيد الربوبية، وقوله:" ولا إله غيره "هذا توحيد الألوهية"[3]

وهناك علاقة بين هذه الأقسام:

*- توحيد الربوبية متضمن لتوحيد الأسماء والصفات، فإذا أقر العبد بأن الله تعالى هو الخالق، الرازق، المحي المميت، له

الأمر والخلق والملك تضمن هذا اعترافًا منه باستحقاق هذا الرب صفات الكمال

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: عبيد الله العكبري، ٣/ ١٢، وانظر: القول السديد في الرد على من أنكر التوحيد ٢٩-٣٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية: لأبي العز ١/ ٢١، ٥٧، ٦٨، ٧٢.

(٣) انظر القول السديد ٣٩.



وأسماء الجمال والجلال، ذلك أن معطي الكمال أولى به، وفاقد الشيء لا يعطيه.

*- توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية: أي: من اعتقد أن الله خالقه ورازقه يلزمه أن يعبده؛ قال ﷻ: ﴿اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ (الأعراف ٨٥). قال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]. ومن عبد الله وحده ولم يشرك به شيئًا فلا بد أن يكون قد اعتقد أنه هو ربه وخالقة.



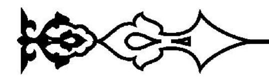
قال شارح الطحاوية -رحمه الله-: "وتوحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية دون العكس، فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزاً، والعاجز لا يصلح أن يكون إلهًا، قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١] وقال سبحانه: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ١٧].

*- وتوحيد الأسماء والصفات فشامل للنوعين، فهو يقوم على إفراد الله سبحانه بكل ما له من الأسماء الحسنى،

والصفات العليا التي لا تنبغي إلا له، ومن جملتها كونه ربًا واحداً لا شريك له في إلهيته، فاسم الرب لا ينصرف إلا إليه

عند الإطلاق، فله وحده الربوبية الشاملة لجميع خلقه، وكذلك اسم الجلالة"الله" لا يطلق إلا عليه وحده.

فهذا الأنواع الثلاثة متكاملة متلازمة يكمل بعضها بعضًا، ولا ينفع أحدها بدون الآخرين، فكما لا ينفع توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، فكذلك لا يصح توحيد الإلهية بدون توحيد الربوبية، فإنه من عبدالله وحده ولم يشرك به شيئًا في عبادته ولكنه اعتقد مع ذلك أن لغيره تأثراً في شيء، أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا



الله تعالى فهذا لا تصح عبادته، فإن أساسها الإيمان بالله ربًا له شؤون الربوبية كلها، وكذلك من وحد الله في ربوبيته وإلهيته ولكنه ألحد في أسمائه فلم يثبت له ما دلت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال، أو أثبت لغيره مثل صفته لم ينفعه توحيده في الربوبية والإلهية

فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة"[(١)].

*- لما كانت العلاقة بين أنواع التوحيد على النحو السابق من التضمن والتلازم كان الإخلال بواحد منها إخلالاً بالقسمين الآخرين، وينافيها كلها ما ينفي نوعًا منها، فمن أشرك في نوع منها فهو مشرك في البقية.[(٢)].

*- كون أنواع التوحيد الثلاثة متلازمة متضامنة متكاملة هو من جهة نفسها، ومن جهة المطلوب من العباد شرعًا، لكن من جهة العبد فإن واقع بعض العباد مخالف لهذه القاعدة الشرعية حيث يمكن أن يقر العبد ويعترف ببعضها، وينكر ويخاصم في نوع آخر، وهذا كحال كفار قريش.

*ـ أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا: ومعنى ذلك أنهما إذا ذكرا جميعًا فلكل لفظ ما يراد به، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ* إِلَـهِ النَّاسِ﴾ (الناس). فيكون معنى الرب: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنى الإله: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا توحيد الألوهية. وتارة يذكر أحدهما مفرداً عن الآخر

---

(١) انظر: الكواشف الجلية عن معاني الوسطية: لعبد العزيز السلمان ٤٢، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الوهاب ١٧.

(٢)انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة: حافظ الحكمي ٥٦-٦٦.

فيجتمعان في المعنى؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: "وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ مَنْ رَبُّكَ"[1]، ومعناه: من إلهك؟ وكما في قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ﴾(الحج: ٤٠).



وبقدر ما يحقق العبد التوحيد بأقسامه بقدر ما ينعم بالفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، وتتوافر له أسباب إجابة الدعاء، وبقدر ما يقع منه من التفريط في أقسام التوحيد بقدر ما يحرم من الراحة والطمأنينة والفلاح وإجابة الدعاء.

وفي حديث موضوع البحث يبرز فيه تحقيق التوحيد بأنواعه الثلاثة، ويمكن توضيح ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأولى: تحقيق توحيد الألوهية:

تضمن هذا الدعاء الشريف أسبابا عقديه عظيمة وهذا مما جعله لا يدعي به داعي إلا أذهب الله تعالى به ما أهمه وأحزنه، وأول هذه الأسباب العقدية تحقيق توحيد الألوهية.

و**تحقيق توحيد الألوهية** يكون: بإفراد الله تعالى بالعبادة اعتقاداً، وقولاً، وعملاً، وإخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل والرغبة والرهبة وسائر أنواع العبادة، وألا يكون في القلب شيء من التعلق بسواه؛ أو الالتفات لسواه، فيكون القلب متوجهًا بكليته إلى الله جل جلاله، والبراءة من كل معبود سوى الله تعالى[2].

ويمكن الوقوف على تحقيق توحيد الألوهية في هذا الحديث بالآتي:

١- **البدء به في الدعاء**: إذ أن توحيد الألوهية والعبادة هو أهم أنواع التوحيد فهو

(١) رواه أبو داود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في " صحيح الجامع " (١٦٧٦).

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٦، الكواشف الجلية ٤١٨، مدارج السالكين ١/ ٢٥.

الغاية من خلق الثقلين قال تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهو المقصود الأعظم من إرسال الرسل، وانزل الكتب وهو

دعوة كل رسول إلى قومه، ومفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. ومن أجل هذا التوحيد أنزلت الكتب، وبه حق الجهاد، وافترق النّاس إلى مؤمنين وكفار، وإلى سعداء وأشقياء، وعليه مدار الحساب، وبه تطيش كفة الميزان يوم يبعث الله تعالى العباد في يوم الميعاد.

٢ـ أنه دعاء صدر بتوحيد الله في عبودية المحبة والدعاء والرجاء: بنداء ملك الملوك والأملاك بقوله ﷺ: اللَّهُمَّ: فإن أصل "اللهم" -كما قال "الخليل" و"سيبويه" وجميع البصريين-: يا أللهُ، فلما استعملت الكلمة دون حرف النداء الذي هو "يا" جعلوا بدله هذه الميم المشددة، فجاءوا بحرفين وهما الميمان عوضا من حرفين وهما الياء والألف، والضمة في الهاء هي ضمة الاسم المنادى المفرد[1]، ولذلك لا يجوز عند "سيبويه" الجمع بينهما في اختيار الكلام فلا يقال: يا اللهم إلا فيا ندر[2].

قال الإمام "ابن القيم" -رحمه الله-: "لا خلاف أن لفظ «اللهم» معناها: يا الله: ولهذا لا تستعمل إلا في الطلب. فلا

يقال: اللهم غفور رحيم، بل يقال: اللهم اغفر لي وارحمني."[3]

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي ٤/ ٥٣، جلاء الأفهام: ابن قيم الجوزية، ١٤٣.

(٢) تفسير القرآن الكريم (ابن القيم): ابن قيم الجوزية: ١/ ٢٠٦.

(٣) المرجع السابق.

٣- أن الداعي حين يبتدأ دعاءه بـ [اللَّهُمَّ] في هذا الحديث إنما يدعو باسم الجلالة [الله]، واسم الجلالة "الله" على

الصحيح مشتق[١]، واختلفوا في اشتقاقه وأصله، وقد وردت في كتب اللغة عدة معاني للأصل الذي اشتق منه اسم الجلالة[٢]؛ والراجح والله أعلم أن لفظ الجلالة "الله" مشتق من أَلِه يأْلَه، وكل الاشتقاقات والمعاني الأخرى تدخل تحت هذا المعنى الأول فهو متضمن.

٤- أن اسم الجلالة [الله] مشتق من أله يأله-كما تقدم- ومعنى الإله في اللغة: قال "ابن فارس" : "الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد؛ فالإله الله تعالى، وسمي بذلك لأنه معبود، ويقال: تألّه الرجل: إذا تعبد" وإله: جعلوه اسمًا لكل معبود له[٣].

فكلمة (إله) تطلق على المعبود باطلاً، نحو قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً﴾[الفرقان: ٤٣] وتطلق على المعبود بحق -ولا معبود بحق إلا الله تعالى- كقوله تعالى: ـ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾. [٣٠ لقمان].

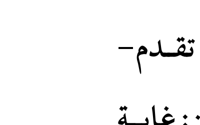
لذا كان معنى [لا إله إلا الله]: لا معبود بحق إلا الله.

---

(١) انظر: تفسير الطبري ١/ ١٢٥، تفسير القرطبي ٤/ ٥٠-٥٣، وبدائع الفوائد ١ / ٢٢.

(٢) واختلفوا في اشتقاقه وأصله، انظر: العين ١/ ٨٢ الصحاح ٤/ ٢٢٢٢- ٢٢٢٤، تهذيب اللغة ٦/ ٤٢١-٤٢٦، مقاييس اللغة ١/ ١٢٧، لسان العرب ١/ ١٤٠-١٤١، مفردات ألفاظ القرآن ٢٨-٨٣، النهاية في غريب الحديث ١/ ٦٢.

(٣) انظر: الصحاح ٦/ ٢٢٢٣، القاموس المحيط ١٦٠٣، معجم مقاييس اللغة ١/ ١٢٧، لسان العرب ١/ ١٨٨-١٩٠، مفردات ألفاظ القرآن ٨٢-٨٣.



٥-تضمنت هذه الكلمة التي تصدر بها الدعاء وهي [اللَّهُمَّ]: أصلين من أهم أصول تحقيق توحيد الألوهية وهما الحب والخضوع ذلك أن معنى الإلــه -كما تقدم- المعبود، والعبودية لتقع على الوجه الأكمل للمعبود لابد أن تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع، والعرب تقول: "طريق معبَّد" أي: مذلَّل، والتعبد: التذلل والخضوع، فمن أحببتَه ولم تكن خاضعًا له: لم تكن عابداً له، ومن خضعت له بلا محبة: لم تكن عابداً له حتى تكون محبّـًا خاضعًا فالمألوه حقيقة المعبود حبــــا وتعظيمــــا[(١)].

فـــ(الإله) هو الذي يألهه العباد حبـًا وذلاً، وخوفـًا ورجاء، وتعظيمـًا وطاعة له[(٢)]، وهو الذي يألهه كل شيء ويعبده كل خلق، والله ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين[(٣)].

٦- في قوله ﷺ: [إِنِّي عَبْدُكَ]: سبب عظيم من أسباب فتح باب الدخول على الملك والتقرب إليه قبل عرض المسألة وهو: إظهار الداعي تمام الانكسار بين يدي ملك الملوك والأملاك، وتقديم منتهى الاعتراف بالعبودية وتمام التذلل والخضوع للإله المعبود.

٧- في قوله ﷺ: [وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ]: تأكيد ومبالغة في إظهار التذلل والعبودية بأنه مخلوق لله تعالى، مملوك له، هو وآباؤه وأمهاته، ابتداءً من أبويه المقربين، وانتهاءً إلى آدم وحواء، فالكل مماليك لله عز وجل خالقهم، ومدبّر أمورهم، وشؤونهم، لا غنى لهم. وَفِي ذَلِك تملّق لَهُ واستخذاء بَين يَدَيْهِ، واعتراف بِأَنَّهُ

---

(١) انظر: مدارج السالكين ١ / ٧٤.

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٢٧، وانظر: التحفة العراقية في الأعمال القلبية: لابن تيمية ٣٧٣-٣٩٨.

(٣) انظر: تفسير ابن جرير ١/ ١٢٢-١٢٥، تفسير القرطبي ٤/ ١١٤-١٢٥.

مَمْلُوكه وآباؤه مماليكه، وَأَن العَبْد لَيْسَ لَهُ غير بَاب سيّده وفضله وإحسانه، وَأَن سيّده إِن أهمله وتخلّى عَنهُ هلك، وَلم يُؤوه أحد وَلم يعْطف عَلَيْهِ؛ بل يضيع أعظم ضَيْعَة فتحت هَذَا الِاعْتِرَاف أَنِّي لَا غنى بِي عَنْك طرفَة عين، وَلَيْسَ لي من أعوذ بِهِ وألوذ بِهِ غير سيّدي الَّذِي أَنا عَبده وَفِي ضمن ذَلِك الِاعْتِرَاف بِأَنَّهُ مربوب مدبّر مَأْمُور مَنْهِيّ إِنَّمَا يتصرّف بِحكم العبوديّة لَا بِحكم الِاخْتِيَار لنَفسِهِ فَلَيْسَ هَذَا شَأْن العَبْد بل شَأْن الْمُلُوك والأحرار[1].



المطلب الثاني: تحقيق توحيد الربوبية:

السبب العقدي الثاني الذي تضمنه هذا الدعاء وجعله من الأدعية المستجابة بوعد النبي ﷺ:

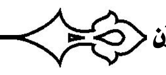
تحقيق توحيد الربوبية، وتحقيق توحيد الربوبية يكون:

بإفراد الله –سبحانه وتعالى– بأفعاله، بالاعتقاد الجازم بأن خالق هذا العالم، وربه واحد أحد له الملك والتصرف المطلق في هذا الكون، المحيي المميت، النافع الضار، القابض الباسط، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، ولا يمتنع عنه ما يريد – سبحانه – هو الفعال لما يريد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك ولا يكون أبداً[2] مع تخليصه مما يضاده ومنها: إنكار وجود الله تعالى جملة وتفصيلاً، أو إثبات وجود خالق غير الله تعالى أو معه، أو تعطيل الرب تبارك وتعالى عن أسمائه وصفاته.

---

(١) الفوائد ٢٢.

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد ٣٣، أضواء البيان: محمد الشنقيطي ٣/ ٣٧٣-٣٧٤، تجريد التوحيد: للمقريزي ١٠-١٦.



ويظهر تحقيق توحيد الربوبية في ألفاظ الحديث كما يأتي:

أ. ما دل عليه من الاعتراف الصريح من الداعي لله تعالى بتوحيد الربوبية بعد أن قدم بين يديه الاعتراف بتوحيد الألوهية، في قوله ﷺ: [نَاصِيَتِي بِيَدِكَ]: فهذا اعتراف أن الله وحده مالك أمره والمتصرف فيه، المنفرد بتدبير أمره وأمر الخلق والعالم كله فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، فإن رزق عبدا له فلا مانع لرزقه وإن قضى له أو عليه بحكم فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.



وبناء على قاعدة: أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا: فإنه في هذا الحديث قد افترقا فيجتمعان؛ بمعنى أن العبد وهو يتوسل بتوحيد الألوهية بقوله [**اللَّهُمَّ**] هو في الوقت ذاته يتوسل بتوحيد الربوبية، كما أنه أيضا يتوسل بهذه الكلمة بالتوحيد الثالث توحيد الأسماء والصفات، فالله أكبر كيف اشتملت هذه الكلمة من ثقل عقدي كان سببا في أن هذا الدعاء لا يدعو به أحدا كما أمر الرسول ﷺ [**إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا**].

ب. في قوله ﷺ: [نَاصِيَتِي بِيَدِكَ]: إظهار الانكسار والعجز بين يدي سيده ومولاه؛ فناصيته وهي أعلى عضو في جسده خاضعة منقادة لما توجهها وتصرفها يد الكبير المتعال. فلا حول ولا قوة لهذا العبد الذليل إلا بمالكه القوي العزيز القهار.

وهذه الألفاظ: [أنت ربي – في قبضتك –ناصيتي بيدك]: في مجموعها تظهر تمام تحقيق التوحيد فيرى الإنسان الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات عن غيره من المخلوقات والأسباب، فلا يرى الخير والشر، والنفع والضر، والغنى والفقر، إلا منه وحده، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٥٤].

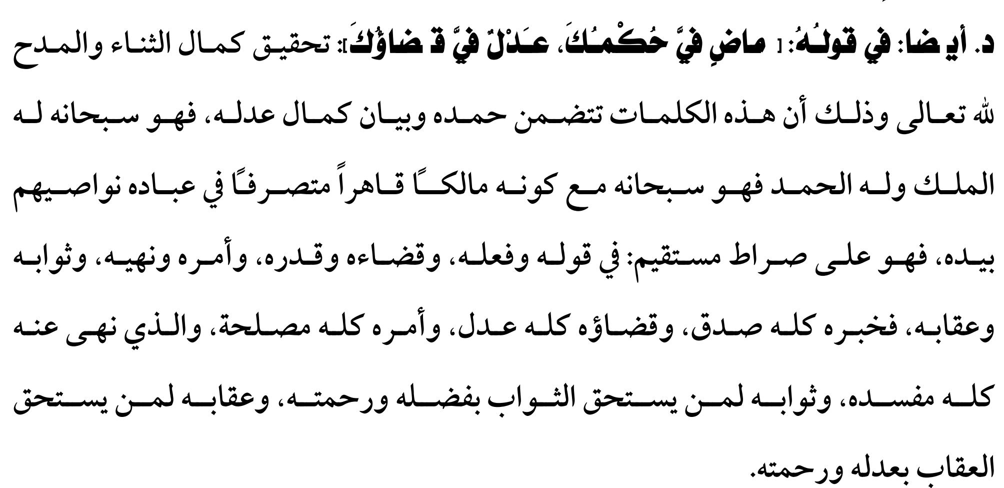
ج. في قولِهُ: [ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُكَ]: مُتضَمِّنٌ لأصلينِ عظيمينِ عليهِما

مَدَارُ التوحيدِ كما قال "ابن القيم"

-رحمه الله-أحَدُهُما: إثباتُ القَدَرِ، وأنَّ أحكَامَ الرَّبِّ تعالى نافذَةٌ في عبدِهِ ماضِيَةٌ فيهِ، لا انْفِكَاكَ لهُ عنها، ولا حِيلَةَ لهُ في

دَفْعِها، والثاني: أنهُ سُبحانَهُ عَدْلٌ في هذهِ الأحكَامِ، غيرُ ظالمٍ لعبْدِهِ، بلْ لا يَخْرُجُ فيها عن مُوجَبِ العَدْلِ والإحسانِ[1]





د. أيضا: في قولهُ: [ماضٍ فيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فيَّ قضاؤُكَ]: تحقيق كمال الثناء والمدح لله تعالى وذلك أن هذه الكلمات تتضمن حمده وبيان كمال عدله، فهو سبحانه له الملك وله الحمد فهو سبحانه مع كونه مالكًا قاهراً متصرفًا في عباده نواصيهم بيده، فهو على صراط مستقيم: في قوله وفعله، وقضاءه وقدره، وأمره ونهيه، وثوابه وعقابه، فخبره كله صدق، وقضاؤه كله عدل، وأمره كله مصلحة، والذي نهى عنه كله مفسده، وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ورحمته، وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله ورحمته.

ه. جاء في روايات الحديث[2]: قوله ﷺ في قَبْضَتِكَ: القَبْضَ: الأخذ بجميع الكف وقبض الشيء: صار في مِلكه وحوزته وتحت سلطانه وقدرته،

والقبضة: صفة فعلية خبرية لله عَزَّ وجلَّ، ثابتة بالكتاب والسنة، فالقبضة معلومة معنى، مجهولة كيف والإيمان بها واجب والسؤال عنها بدعة كما هو منهج سلفنا الصالح، فالواجب في باب الأسماء والصفات أن تمر كما جاءت بلا كيف[3]،

---

(١) انظر: زاد المعاد ٤/ ١٨٩-١٩٠.

(٢) رواه البيهقي في الأسماء والصفات ١/ ١٢رقم(٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٦٩ رقم ١٠٣٥٢)،، وابن السني في عمل اليوم والليلة. ٣٠٠ رقم ٣٣٩

(٣) انظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة: للالكائي٣/ ٤٣١، الأسماء والصفات لابن تيمية ٢/ ٣١.

و(القابض) من أسماء الله تعالى[1].

وهنا كمال حال العبد الداعي في عرض مسألته وطمعه في أن يستجاب له بالإقرار بالربوبية لله تعالى بعد اقراره له بالألوهية، ويشهد ربوبية مالكه ومدبر أمره في ألوهية معبوده، ويشهد إلهية محبوبه ومن خضعت له جوارحه في ربوبية مالكه ومدبر أمره، مع تقديم عوزه وفقره وضعفه بين يدي مسألته فهو عبد ابن عبد ابن جاريه في تصرف ربه وسيده وتحت قبضته وسلطانه.

المطلب الثالث: تحقيق توحيد الأسماء والصفات.

السبب العقدي الثالث الذي تضمنه هذا الدعاء وجعله من الأدعية المستجابة بوعد النبي ﷺ:

تحقيق توحيد الأسماء والصفات، بأن:

١ـ يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي

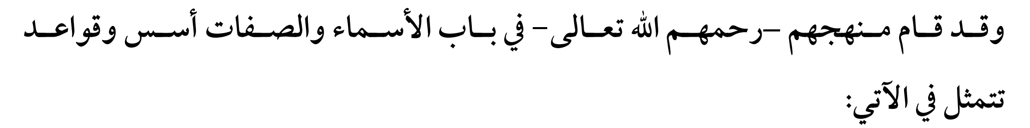
عنه ما نفاه عن نفسه، وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته، فإن الله تعالى ذم الذين يلحدون في أسمائه وآياته كما قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]،، فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات إثباتًا بلا تشبيه، وتنزيهًا بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١] في قوله رد للتشبيه والتمثيل،

(١) انظر: صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي السَّقَّاف، ٢٧٣، مختصر الصواعق المرسلة٢/ ١٧١.



وفي قوله رد للإلحاد والتعطيل "[1].

٢ـ معر فة أن الـ كلام في أسما ئه و صفاته أ مر في غا ية الخ طورة، وإذا لم ي كن للـ كلام في هذا الـ باب قوا عد وأ صول يبني علي ها فإ نه سيكون عر ضة للخ طأ والز لل، لذا كان الوا جب التمسك بمنهج السلف -رحمهم الله تعالى- في توحيد الأسماء والصفات الذي جاء وسطًا بين الجافية والغالية، بين إفراط الممثلة وتفريط المعطلة، معتمداً على النقل الصحيح الذي يوافقه العقل الصريح، فعقيدتهم قائمة على الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- جملة وتفصيلاً، مع التسليم الكامل، والانقياد التام لكل ما وصف الله تعالى به نفسه أو وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- وينفون عنه ما نفاه عن نفسه تعالى، وما نفاه عنه رسوله -صلى الله عليه وسلم- إذ لا يصف الله -تبارك وتعالى- من هو أعلم به منه: ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ الله ﴾[البقرة: ١٤٠] ولا يصف الله تعالى بعده من هو أعلم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾[النجم: ٣-٤]،



وقد قام منهجهم -رحمهم الله تعالى- في باب الأسماء والصفات أسس وقواعد تتمثل في الآتي:

١ - أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية لا تثبت إلا بالكتاب الكريم وصحيح السنة المطهرة.

٢ - أسماء الله تعالى حسنى، وصفاته كاملة عليا.

٣- السمع جاء بالتعريف [بمن هو] الله تعالى لا [ما هو] الله تعالى.

٤ - أن الله تعالى موصوف بالإثبات والنفي.

---

(١) الرسالة التدمرية في التوحيد والأسماء والصفات والقضاء والقدر: أحمد بن تيمية ٤.

٥- أن النصوص على ظاهرها مع اعتقاد عدم التمثيل والتكييف.

٦- نصوص الأسماء والصفات من باب المحكم معنى والمتشابه كيفًا.

٧- عدم الإلحاد في أسماء الله تعالى وصفاته، وذلك يتمثل فيما يأتي:

أ) ترك التمثيل والتعطيل.

ب) سلامة منهجهم من التأويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه.

٨- العمل بالحديث ما دام صحيحًا من غير تفريق بين متواتر وآحاد.

ويظهر تحقيق توحيد الأسماء والصفات في الحديث كما يأتي:

أ. أ نه د عاء صدر بتوح يد الله في أسما ئه و صفاته: بدعاء ونداء ملك الملوك والأملاك بأعظم أسماء الله الحسنى وهو [الله] فقال: [**اللَّهُمَّ**].

ب. أن الداعي حين يبتدأ دعاءه بالـلهم في هذا ا لحديث إ نما يدعو با سم الجلا لة [الله] وهو اسم الله الأعظم على

أحد الأقوال لأنه: دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا بالدلالات الثلاث (المطابقة والتضمن والالتزام)، فإنه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية: هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: ١٨]، ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام، والحكيم: من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك(١).

---

(١) انظر: مدارج السالكين ١/ ٤١.

فعلـم أن اسـمه «الله» مسـتلزم لجميـع معـاني الأسـماء الحسـنى، دال عليهـا بالإجمـال. والأسـماء الحسـنى تفصـيل وتبيـين لصـفات الإلهيـة التـي اشـتق منهـا اسـم «الله» بالإقرار بالربوبية لله تعالى بعد إقراره له بالألوهية.

واسـم «الله» دال علـى كونـه مألوهـا معبـودا، تألهـه الخلائـق محبـة وتعظيمـا وخضـوعا، وفزعــا إليــه في الحــوائج والنوائــب، وذلــك مســتلزم لكمــال ربوبيتــه ورحمتــه، المتضــمنين لكمــال الملــك، والحمــد وإلهيتــه وربوبيتــه ورحمانيتــه وملكــه مســتلزم لجميـع صـفات كمالـه إذ يسـتحيل ثبـوت ذلـك لمـن لـيس بحـي ولا سـميع، ولا بصـير، ولا قادر، ولا متكلم، ولا فعال لما يريد، ولا حكيم في أفعاله[١].

ج. ذ هب مجمو عة من العل ماء إلى أن ا لميم في(اللّهـُمَّ): دا لة ع لى جم يع أ سماء الله الح سنى و صفاته ال علا، وفي هـذا يقـول الإمـام ابـن القـيم-رحمـه الله- في شـأن إلحـاق المـيم في كلمـة" اللهـم "بعـد أن بـيّن أن المـيم حـرف شـفهي يجمـع النـاطق بـه شـفتيه، فوضـعته العـرب علمـا علـى الجمـع[٢]:" فهـم قـد ألحقوهـا في آخـر هـذا الاسـم «اللهـم» الـذي يسـأل العبـد بـه ربـه سـبحانه في كـل حاجـة، وكـل حـال، إيـذانا بجمـع أسـمائه تعـالى وصـفاته. فـإذا قـال السـائل: اللهـم إني أسـألك، كأنـه قـال: أدعـو الله الـذي لـه الأسـماء الحسـنى والصـفات العلـى بأسـمائه وصـفاته. فـأتى بـالميم المؤذنـة بـالجمع في آخـر هـذا الاسـم، إيـذانا بسـؤاله تعـالى بأسـمائه كلهـا كمـا قـال النبـي في الحـديث الصـحيح: "مـا أصـاب عبـدا قـط هـم ولا حـزن فقـال اللهـم إني عبـدك ابـن عبـدك ابـن أمتـك ناصـيتي بيـدك مـاض في حكمـك..." وهـذا القـول الـذي اخترنـاه قـد جـاء عـن غيـر واحد من السلف؛

---

(١) انظر: تفسير القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية ١/ ٣٥-٣٦.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢١٢.

قال "الحسن البصري" «اللهم» مجمع الدعاء وقال "أبو رجاء العطاردي" : إن الميم في قوله «اللهم» فيها تسعة وتسعون اسما من أسماء الله تعالى، وقال "النضر بن شميل" : من قال «اللهم» فقد دعا الله بجميع أسمائه(١).

د. أن في الحديث تحقيق للإيمان بتوحيد الأسماء والصفات من جهة تحقيق الإيمان الشرعي المطلوب وذلك:

أنه تضمن دعاء تضمن ألفاظا دلت على صدق اللجأ إلى الله وشدة الحاجة إليه بالتوسل بأسمائه تعالى، وصفاته توسلا قائما على الاعتقاد الجازم بقيام معاني تلك الأسماء الصفات بالله تعالى كما يليق بجلاله وعظمته ليس كمثله شيء، ففي الدعاء توسل بالألوهية والربوبية وبما دلا عليه من معاني أسماء الألوهية والربوبية، كما فيه توسل بصفات لله تعالى بسياق وسباق يدل على تمام التسليم في هذا الباب بإثبات الأسماء والصفات كما أثبتها هو جل جلاه لنفسه من القبضة واليد،

وهذا تمام تحقيق توحيد الأسماء والصفات ذلك أن:

توحيد الأسماء والصفات خاصة كان من أمهات المسائل العقدية، وأجلها مما تعرض لعاصفة هوجاء من التدليس

والتلبيس، ففشت فيه عقائد زائفة، وضلالاته جائرة روجها أهل الأهواء والبدع فهوجم أهل التوحيد الحق القائم على الإثبات بلا تمثيل، والتزيه بلا تعطيل ورموا بأوصاف المجسمة والمشبهة والله المستعان،

وقد حصل الانحراف في باب الأسماء والصفات من طريقي النفي والتمثيل، وشبهة النفي أردأ من شبهة التمثيل، فإن شبهة النفي رد وتكذيب لما جاء به الرسول-ﷺ-، وشبهة التمثيل غلو ومجاوزة للحد فيما جاء به الرسول-ﷺ-،

(١) المرجع نفسه / ٢١٣-٢١٥.

مجلة كلية الدراسات الإسلامية

وتشبيه وتمثيل الله بخلقه كفر، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١]، ونفي الصفات كفر فإن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١][(١)].

ه. أن فيه التوسل بأسماء الله تعالى التي سمًا بها نفسه ما علم العباد منها وما لم يعلموا، ومنها ما استأثر به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً وهذه الوسيلة أعظم الوسائل:

قال ابنُ تيمية-رحمه الله-: "وأمَّا سُؤالُ اللهِ بأسمائِهِ وصِفاتِهِ التي تَقْتَضِي ما يَفْعَلُهُ بالعِبادِ مِن الهُدَى والرِّزْقِ والنَّصْرِ، فهذا أعظَمُ ما يُسْأَلُ اللهُ تعالى بهِ"[(٢)]

وقال ابنُ القيِّم-رحمه الله-: "وأمر عباده أن يسألوه بأسمائه وصفاته ففتح لهم باب الدعاء رغبا ورهبا ليذكره الداعي بأسمائه

وصفاته فيتوسل إليه بها ولهذا كان أفضل الدعاء وأجوبه ما توسل فيه الداعي إليه بأسمائه وصفاته"[(٣)].

وإنما كان التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته من أسباب إجابة الدعاء وذلك أنه:

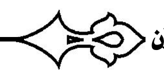
لا أحد أحب إليه الثناء من الله تعالى: فعنْ الْمُغِيرَةِ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفَحٍ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) الفتاوى ١/ ١٥٩.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن قيم الجوزية ٣/ ٩١١.



وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ "[1].

الْمِدْحَةُ: بكسر الميم مع هاء التأنيث وبفتحها مع حذف الهاء، والمدح الثناء بذكر أوصاف الكمال والأفضال



قال" ابن بطال "-رحمه الله-" أراد به المدح من عباده بطاعته وتنزيهه عما لا يليق به والثناء عليه بنعمه ليجازيهم على ذلك

وقال "عياض" -رحمه الله- "ولا يحتج بهذا على جواز استجلاب الإنسان الثناء على نفسه فإنه مذموم، ومنهي عنه

بخلاف حبه له في قلبه إذا لم يجد من ذلك بدا، فإنه لا يذم بذلك، فالله سبحانه وتعالى مستحق للمدح بكماله؛

والنقص للعبد لازم ولو استحق المدح من جهة ما لكن المدح يفسد قلبه ويعظمه في نفسه حتى يحتقر غيره، ولهذا جاء

" احثوا في وجوه المداحين التراب "وهو حديث صحيح أخرجه مسلم"[2].

وفي رواية لمسلم -رحمه الله- "لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ مِنْ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنْ اللهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ"[3].

قال "النووي" -رحمه الله-: "قوله -ﷺ-:" ولا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى "حقيقة هذا مصلحة للعباد، لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى فيثيبهم فينتفعون، وهو سبحانه غني عن العالمين، لا ينفعه مدحهم، ولا يضره تركهم ذلك.

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شخص أغير من الله، برقم [٦٩٨٠]

(٢) انظر: فتح الباري١٣/ ٤١١.

(٣) رواه مسلم كتاب: التَّوْبة، باب: غَيْرَةِ الله تعالى وتحريمِ الْفواحشِ، رقم(٢٧٦٠)



وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى، وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره، وسائر الأذكار(١).

يقول فضيلة الشيخ محمد المنجد -حفظه الله-: فالله تعالى غني عن العالمين وعن مدحهم وعن عملهم، وهم مهما أساءوا أو أحسنوا لا يبلغون ضر الله: فيضروه، ولا يبلغون نفعه: فينفعوه، فهو غني عنهم سبحانه وتعالى، وهم الفقراء إليه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر ١٥].



ولكن الله تعالى يحب من عباده أن يطيعوه، وأن يحسنوا الثناء عليه، ويشكروه ولا يكفروه، وذلك لحكم كثيرة ومعان جليلة، نذكر بعضها:

- أحب الله المدح والثناء الحسن فمدح نفسه وأمر عباده بمدحه والثناء عليه لأنه أهل ذلك.

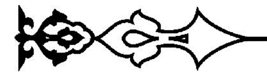
- ولأن في مدحه والثناء الحسن عليه بما هو أهله: قياما للحق وعملا به، وبذلك يقوم القسطاس في السماوات والأرض، بخلاف ما لو كفروه ولم يشكروه فإنه حري بهم ألا يقيموا العدل بينهم.

- ولأن في مدحه التعريف بحق قدره، ولولا ما أمرنا به من ذلك، وعرفنا عليه: لما أدركنا ما يليق بعظمته وجلاله، من المدح والثناء الحسن، ولما تعرفنا على ربنا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فإن معرفة ذلك هي أساس مدحه والثناء عليه، وهو أساس معرفة العبد بربه.

- أن مدحه سبحانه ينفي عن العبد صفات الكبر والتعالي والفخر، فإن الذي لا ينسب الفضل لله، فيحمده عليه: ينسبه لنفسه فيطغى، ويتعالى على الخلق، كما

---

(١) شرح صحيح مسلم / ٢٣١٠، وانظر: تحفة الأحوذي" كتاب الدعوات، باب منه ٩/ ٣٥٧: رقم(٣٥٣٠)



فعل قارون لما ذكّر بالله وبنعمته عليه.

- مدح الله جل جلاله، والتعرف عليه بصفات كماله وجلاله وكماله: يفتح للعباد باب القيام حق عبوديته، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يتعرفون عليه إلا بعد معرفة موجبات حمده، بمعرفة أسمائه وصفاته المقتضية مدحه وحمده والثناء عليه

- أن بمدحه والثناء عليه سبحانه بما هو أهله، فتحا لباب معرفة الإنسان بقدره، من الضعف والقلة والذلة والمسكنة، فينزل منازل العبودية[1].

و. **كان الشروع في الدعاء بعد إظهار غاية التذلل والخضوع لله تعالى**، وهذا من أدب السائلين، وهو سبب من أسباب إجابة السؤال ولا سيما إذا كان المسؤول كريمًا، ومن أكرم من الله تبارك وتعالى.

---

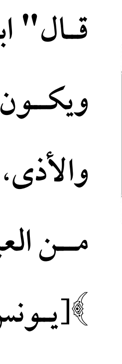
(١) موقع الاسلام سؤال وجواب.



المط لب ال ثاني: التـ سليم والر ضى بالحكم والقـ ضاء وأ ثره في إجا بة ا لدعاء؛ وفـ يه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: معنى التسليم والرضى والفرق بينهما.

١ ـ معنى التسليم:



قال" ابن فارس ":" (سلم) السين واللام والميم معظم بابه من الصحة والعافية، ويكون فيه ما يشذ، والشاذ عنه قليل، فالسلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله جل ثناؤه هو السلام; لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، قال الله جل جلاله: ﴿ وَاللهُ يَدْعُو إلى دَارِ السَّلَامِ ﴾[يونس: ٢٥]، فالسلام الله جل ثناؤه، وداره الجنة. ومن الباب أيضا الإسلام، وهو الانقياد; لأنه يسلم من الإباء والامتناع[(١)].

وقال "ابن منظور" : ". والإسلام والاستسلام: الانقياد. والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، والتسليم: بذل الرضا بالحكم[(٢)].

٢ ـ معنى الرضى:

قال" ابن فارس ": (رضي) الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على خلاف السخط[(٣)].

وقال" الرّاغب ": رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه[(٤)].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٣/ ٩٠-٩١.

(٢) انظر: ٧/ ٢٤٠-٢٤٦، مفردات ألفاظ القرآن ٤٢١ - ٤٢٣.

(٣) انظر: مقاييس اللغة ٢/ ٤٠٢، لسان العرب ٦/ ١٦٨.

(٤) مفردات القران ٣٥٦.

وقيل: سرور القلب بمرّ القضاء.

وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام(١).

وقال" المناويّ ": الرضى: طيب النفس بما يصيبه ويفوته مع عدم التغير(٢).

الفرق بين التسليم والرضى:

١ - إن التسليم لأمر الله تعالى هو روح الإسلام، ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام،(٣) قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، **وقال تعالى-: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]،**

والرضا آخر التوكل فمن رسخ قدمه في التوكل والتسليم والتفويض: حصل له الرضا ولا بد ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها لم يوجبه الله على خلقه رحمة بهم، وتخفيفا عنهم لكن ندبهم إليه وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم الذي هو أعظم وأكبر وأجل من الجنان وما فيها.

ومن أعظم أسباب حصول الرضا: أن يلزم ما جعل الله رضاه فيه. فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولا بد(٤).

وقد أجمع العلماء على أنه مستحب، مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على

---

(١) مدارج السالكين ٢/ ١٨٥.

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف: محمد المناوي ١٦٨.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٤١.

(٤)مدارج السالكين ٢/ ١٨١.



قولين[1].

٢- أن بينهما تلازم: فالتسليم لأمر الله تعالى يقتضي الرضا واليقين بأن الخير بيد الله تعالى، وليُحَقّق المؤمن التسليم والرضى لابد أن يُحسِن الظن بالله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥].



٣- حقيقة التسليم تكون لله تعالى لا لذات القدَر، فلا تسخط على القضاء وتدبير الله من حيث هو الله الخالق المالك للأمر كله، ومن حيث هو سبحانه المدبر بحكمة وعلم، ومن حيث أنه سبحانه الأعلم بحال عباده ومراده منهم ولا يكلفهم فوق وسعهم.

والرضا يكون عن قضائه وتقديره تعالى لا ذات المقضي.

٤- أن مبنى العبودية والإيمان بالله، وكتبه، ورسله على التسليم، وعدم الخوض في تفاصيل الحكمة في الأوامر، والنواهي، والشرائع[2].

أما الرضا بالقدر فهو واجب ولا يجوز التسخط عليه لأنه من تمام الرضا بربوبية الله، أما المقضي فعلى أقسام[3]:

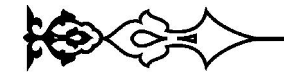
القسم الأول: ما يجب الرضا به **و**متفق على فرضيته كالرضا به ربا وإلها، والرضا بأمره الديني لأن الله حكم به كونًا وحكم به شرعًا فيجب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي، بل لا يصير العبد مسلما إلا بهذا الرضا أن يرضى بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا.

---

(١) انظر: المرجع السابق ٢/ ١٧٨.

(٢) انظر: الصواعق المرسلة ٤/ ١٥٦٠.

(٣) انظر: شفاء العليل ٢٨٠. مدارج السالكين ٢/ ١٨٠.



القسم الثاني: ما يحرم الرضا به: كالرّضا بالكفر والفسوق والعصيان: فالّذي عليه أئمّة الدين أنّه لا يرضى بذلك بل العبودية مدافعته بأحكام أخر أحبّ إلى الله منهاكما قال: ﴿ وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ ﴾(الزمر: ٧)، وقال: ﴿ وَاللهُ لا يُحِبُّ الْفَسادَ﴾(البقرة: ٢٠٥).

القسم الثالث: ما يستحب الرضا به ويجب الصبر عليه: وهو ما يقع من المصائب كالفقر والمرض، إذا لم يؤمَر العبد بمنازعته ودَفعه، ولم يقدر على ذلك، فهذا رضا مستحبّ في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنّه واجب، والصّحيح أنّ الواجب هو الصّبر.

المسألة الثانية: معنى الحكم والقضاء والفرق بينهما.

١- معنى الحكم لغة:

قال" ابن فارس ": (حكم) الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو المنع. وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم،

والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل[1].

٢- معنى القضاء لغة:

قال" الخليل "قضي: قَضَى يَقضي قَضاءً وقَضيّةً أي حكم[2].

وقال" ابن فارس ": (قضي) القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته،

والقضاء: الحكم. قال الله سبحانه في ذكر من قال: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ [طه: ٧٢] أي اصنع واحكم. ولذلك سمي القاضي قاضيا، لأنه يحكم الأحكام وينفذها.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة٢/ ٩٢، وانظر: العين ٣/ ٦٦-مفردات ٢٤٨ومابعدها- النهاية١/ ٤١٩-٤٢٠

(٢) العين٥/ ١٨٥- مفردات ألفاظ القرآن ٦٧٤-٦٧٥-النهاية ٤/ ٧٨



وسميت المنية قضاء لأنه أمر ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق[1].

ويتبين مما تقدم أن معنى الحكم: المنع، وأن من معاني القضاء الحكم، ومع ذلك فلا ترادف بينهما وذلك:

١]- أن الحكم يقتضي المنع عن الخصومة، أما القضاء يقتضي فصل الأمر على التمام من قولك قضاه إذا أتمه وقطع عمله ومنه قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا ﴾[الأنعام: ٢] أي فصل الحكم به ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ [فصلت: ١٢]



٢]- الحكم والقضاء نوعان:

-كوني متعلق بربوبيته ﷻ وخلقه، وأحكامه جارية على خلقه قدرا وشرعا، ولا خروج لأحد عن حكمه الكوني القدري،

ومنه ما يجب الرضا به كالنعم التي يجب شكرها ومن تمام شكرها الرضا بها.

ومنه ما لا يجوز الرضا به كالمعايب والذنوب التي يسخطها الله وإن كانت بقضائه وقدره.

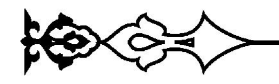
ومنه ما يستحب الرضا به كالمصائب.

ومن أمثلة الحكم الكوني قوله: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي افعل ما تنصر به عبادك وتخذل به أعداءك، وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[المائدة: ١]، ومن أمثلة القضاء الكوني القدري قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤]

ـ ديني متعلق بأمره وإلهيته وشرعه يجب الرضا به، وهو من لوازم الإسلام، وحكمه الديني الشرعي قد لا يقع فيعصيه الفجار والفساق.

---

(١) انظر: مقاييس اللغة ٥/ ١٠٠



والأمران [الكوني والديني]غير متلازمين فقد يقضي ويقدر ما لا يأمر به ولا شرعه، وقد يشرع ويأمر بما لا يقضيه ولا يقدره ويجتمع الأمران فيما وقع من طاعات عبادة، وإيمانهم، وينتفي الأمران عما لم يقع من المعاصي والفسق والكفر، وينفرد القضاء الديني والحكم الشرعي في ما أمر به وشرعه، ولم يفعله المأمور، وينفرد الحكم الكوني فيما وقع من المعاصي، ومن أمثلة الحكم الديني قوله: ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾[الممتحنة: ١١]، ومن أمثلة القضاء الشرعي الديني قوله: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]أي أمر وشرع ولو كان قضاء كونيا لما عبد غير الله[١].

هذا كله في الرضا بالقضاء الذي هو المقضي وأما القضاء الذي هو وصفه سبحانه وفعله كعلمه وكتابه وتقديره ومشيئته فالرضا به من تمام الرضا بالله ربا وإلها ومالكا ومدبرا[٢].

٣]-جعل في الحديث: المضاء للحكم، والعدل للقضاء، فإن حكمه سبحانه يتناول حكمه الديني الشرعي وحكمه الكوني القدري، والنوعان نافذان في العبد، ماضيان فيه، وهو مقهور تحت الحكمين قد مضيا فيه ونفذا فيه. شاء أم أبى، لكن الحكم الكوني لا يمكنه مخالفته، وأما الديني الشرعي فقد يخالفه. ولما كان القضاء هو الإتمام والإكمال، وذلك إنما يكون بعد مضيه ونفوذه، قال: [عدل فيَّ قضاؤك]: **أي الحكم الذي أكملته** وأتممته ونفذته في عبدك عدل منك فيه، وأما الحكم فهو ما يحكم به سبحانه وقد يشاء تنفيذه وقد لا ينفذه، فإن كان حكمًا دينيًّا فهو ماض في العبد، وإن كان كونيًّا: فإن نفذه سبحانه مضى فيه، وإن لم ينفذه

---

(١) انظر: شفاء العليل ٢٨٠

(٢) انظر: شفاء العليل ٢٧٨.

اندفع عنه، فهو سبحانه يقضي ما يقضي به، وغيره قد يقضي بقضاء ويقدر أمراً ولا يستطيع تنفيذه، وهو سبحانه يقضي ويمضي، فله القضاء والإمضاء[1].

المسألة الثالثة: تحقيق التسليم والرضى بالحكم والقضاء وأثره في إجابة الدعاء.

يمكن الوقوف على تحقيق التسليم للحكم والرضى بالقضاء والقدر كسبب من أسباب إجابة الدعاء في هذا الحديث على النحو الآتي:

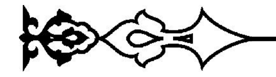
١ - في قوله-ﷺ-: [مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ]: تحقيق لما عليه دل الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره. والتسليم لله تعالى فيه.

٢ - أن في -ﷺ-: [مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ]: تحقيق للتسليم والرضى بالحكم والأمر والقضاء، مع الثناء على الله تعالى بصفات الجمال والجلال وهذا باب من أبواب توحيد الله تعالى قال" ابن عباس "-رضي الله عنهما-" الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده "[2].

٣- أن في قوله -ﷺ-: [مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ]: سد لباب الخوض في القدر، فهذا الدعاء هو كلمات صدرت من أعلم الخلق بالله تعالى بعد الله وهو رسول كريم صادق مصدوق-ﷺ- لا ينطق عن الهوى، قوله حق فماذا بعد الحق إلا الضلال؛ فأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة

(١) انظر: الفوائد ٢٣- ٢٤.

(٢) رواه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٣، واللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة ٤/ ٦٧.



الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب؛ كان من الكافرين(١).

المطلب الثالث: تحقيق الذل والانكسار وأثره في إجابة الدعاء؛

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: انكسار القلب.

يظهر انكسار القلب وكونه من الأسباب العقدية لإجابة الدعاء في هذا الحديث من خلال الآتي:

١ - أن ذل القلب وانكساره بين يدي الله تعالى من أجل العبادات القلبية بها يستكمل العبد مقام العبودية حيث يستشعر فيها العبد ضعفه وافتقاره لله تعالى، مما يرفعه أعلى المقامات عند الله تعالى(٢).

يقول" ابن القيم "-رحمه الله-: إنَّ مقام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً للّه وانقياداً وطاعة، فهو ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل، فهو ذليل لقهره، ذليل لربوبيته فيه وتصرفه، وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه(٣).

٢- جاءت هذه الألفاظ في الحديث: **«اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ»** صادحة بما في قلب الداعي من

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية: ٢/ ٣٢٠، وانظر: مجموع الفتاوى ٨/ ٤٤٩-٤٥٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ١٨٨، وانظر: العبودية ١/ ٣٤.

(٣) انظر: مفتاح دار السعادة: ١/ ٢٨٩

الحب والرضا والذل لله تعالى مع غاية الانكسار مع اظهار العجز والفاقة والتواضع لله تعالى لا في قلبه فحسب بل وفي جوارحه، وهي عبادات لا يجب صرفها إلا لله تعالى.



يقول" ابن رجب "-رحمه الله-:" اعلم أن سؤالَ اللهِ تعالى دون خلقه هو المتعيّن؛ لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل

والمسكنة والحاجة والافتقار، وفيه الاعتراف بقدرة المسؤول على دفع هذا الضرر، ونيلِ المطلوب، وجلبِ المنافع،

المضارّ، ولا يصلح الذل والافتقار إلا الله وحده، لأنه حقيقة العبادة "[1].

٣-أن هذا الحديث اشتمل على جميع صور انكسار العبد قولا وحالا، قلبا ونفسا وجسدا مما جعله من الأدعية الكاملة المستجابة يوضحه:

٤ - أنه قد اجتمع في هذا الحديث أنواع الدعاء الثلاثة[2].

أحدها: أن تسأل الله تعالى بأسمائه وصفاته.

والثاني: أن تسأله بحاجتك وفقرك، وذلّك. فتقول: أنا العبد الفقير المسكين البائس الذليل المستجير، ونحو ذلك.

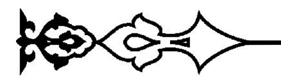
والثالث: أن تسأل حاجتك ولا تذكر أحدا من الأمرين.

فالأول أكمل من الثاني، والثاني أكمل من الثالث، فإذا جمع الدعاء الأمور الثلاثة كان أكمل.

٥- أن في انكسار القلب تحقيق لعبودية القلب التي هي أصل لعبودية الجوارح، كما قال" ابن القيم "-رحمه الله-و أعمال

(١) جامع العلوم والحكم ١/ ٤٨١

(٢) انظر: التفسير القيم. ١/ ٢١٤- ٢١٥.



القلوب هي الأصل المراد المقصود، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وأن النية بمنزلة الروح، والعمل بمنزلة الجسد للأعضاء،

الذي إذا فارق الروح فموات، وكذلك العمل إذا لم تصحبه النية[1].

٦- أن القلب المكسور أقرب القلوب إلى الله تعالى، وما أقرب الجبر من هذا القلب المكسور! وما أدنى النصر والرحمة والرزق منه! وذرة من هذا ونَفَس منه أحب إلى الله من طاعات أمثال الجبال من المدلّين المعجبين بأعمالهم وعلومهم وأحوالهم. وأحب القلوب إلى الله سبحانه: قلب قد تمكّنت منه هذه الكسرة، وملكته هذه الذلّة؛ فهو ناكس الرأس بين يدي ربه؛ لا يرفع رأسه إليه حياء وخجلا، يسأله عطفه ورحمته[2]، ويستعطفه ويستجديه بما قام في هذا القلب من تحقيق لتوحيد الألوهية محبة وذلا وانقيادا، وبما امتلا في قلبه من معاني التسليم والاستسلام لربه ومالكه والمتصرف فيه امتلاء فاض حتى نضح على جسده فأعلن تسليم هذا الجسد لربه وأنه في قبضته بل وأعز جزء في هذا الجسد وهي الناصية مقدم الرأس هي بيد مالك الملك ورب الأباب، ثم تجلى هذا التسليم والاستسلام على نفسه التي أعلنت ضعفها وانكسارها بم سيتم بيانه في المسألة الآتية وهي:

المسألة الثانية: انكسار النفس:

قد استعاذ-ﷺ-من شر النفس عموما، ومن شر ما يتولد منها من الأعمال، ومن شر ما يترتب على ذلك من المكاره والعقوبات،" قال بعض العارفين: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم. فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك، على ظلمها وجهلها، فلم تكن أمارة إلا بموجب الجهل والظلم،

---

(١) انظر: بدائع الفوائد ٣/ ٧٠٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١ / ٤٢٨.

فلولا فضل الله ورحمته على المؤمنين ما زكت منهم نفس واحد "[1].

إن انكسار النفس لله نعمة لا يعرفها المتكبرون - فمتى دخل الكبرياء للنفس أفقدها حلاوة الإيمان ولذة الطاعة، ولذا كان من أسباب كون هذا الدعاء من أسباب كشف الهم والحزن أمور منها:

١ - أَنه صدَّر بإظهار انكسار النفس والقلب والتذلل والخضوع، وهذا من آداب السائلين، وحالة أقرب إلى إجابة السؤال.

٢ -إن توسل الداعي وسؤاله الله تعالى بأنه: [**عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**] هذا اعتراف بحقيقة قدر العبد بين يدي مولاه وسيده و" مِن ههنا خذل مَن خُذل، ووُفِّقَ مَن وُفق، فحجب المخذول عن حقيقته، ونسي نفسه، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه، فطغى وعتا، فحقت عليه الشقوة "[2].

٣- أن تحقيق التوحيد وقيام معانيه في قلب العبد، وتعرف النفس بما لله تعالى من صفات كماله وجلاله وكماله يفتح للعبد باب القيام بحق عبوديته، ومقت النفس، و" مقت النفس في ذات الله من صفات الصديقين، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة، أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل[3].

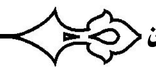
٤- في انكسار النفس البعد عن رضاء العبد بطاعته وحسن ظنه بنفسه وفيه نجاته من مهالك: إذ يتولد من الرضا عن النفس من العجب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة من الزنا وشرب الخمر والفرار من الزحف ونحوها. فالرضا

---

(١) إغاثة اللهفان١ / ٨٩-٩٢.

(٢) طريق الهجرتين ٢٥-٢٦.

(٣) اغاثة اللهفان ١٠٤.

بالطاعة من رعونات النفس وحماقتها(١).

المسألة الثالثة: انكسار الجسد:

الجسد نعمة من نعم الله تعالى على العبد إذ هو مطية للكسب والسعي، وقد رتب الشارع الحكيم لكل جارحة وحاسة عبودية(٢)، ويظهر انكسار القلب وكونه من الأسباب العقدية لإجابة الدعاء في هذا الحديث من خلال الآتي:



١- كما ظهر في قوله-ﷺ-:**"اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ"** أن للقلب عبودية التوحيد والانقياد والتسليم والانكسار، فكذلك يظهر منها تلك العبودية للجسد.

٢- مع أن عبودية القلب أصل لعبودية الجوارح -كما تقدم- فالقلب ملك والأعضاء جنوده، وبصلاحه يصلح الكل وبفساده يفسد الكل، قال النبي ﷺ: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ"(٣) إلا أن هناك تلازم بين صلاح القلب وصلاح الأعضاء، وأن الاعتقاد بهذا التلازم والقول بموجبه هو منهج أهل السنة والجماعة، يوضحه:

٣- حقيقةَ الإيمانِ المطلوب شرعا هو ما **اتفقت عليه أقوال السلف الصالح وهو: أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل.**

وأنه: تصديق بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية(٤).

فلابد للإيمان أن تجتمع فيه عبادة القلب مع عبادةِ الجوارح، فتتحقق عبودية القلب

---

(١) انظر: مدارج السالكين ١/ ١٩٥.

(٢) انظر: مدارج السالكين ١/ ١٣٧.

(٣) رواه البخاري في: كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، رقم [٥٢].

(٤) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٥/ ٨٨٧، السنة: عبد الله أحمد بن حنبل ١/ ٣٠٧، الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة عبدالله بن عبدالحميد الأثري ١٣.







مع عبودية الجوارح، قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: "وإذا قام بالقلب التصديق به، والمحبة له لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة؛ فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله كما أن ما يقوم بالبدن من الأقوال والأعمال له أيضا تأثير فيما في القلب فكل منهما يؤثر في الآخر لكن القلب هو الأصل والبدن فرع له والفرع يستمد من أصله والأصل يثبت ويقوى بفرعه"(1).

٤ - دل حديث البحث على هذا التلازم بين عبودية القلب وعبودية الجوارح في قوله-ﷺ-[**اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**] إذ لما اعترف العبد لربه بتوحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، وأعلن انقياد قلبه واستلامه بهذا الاقرار والاعتراف، أعلن في الوقت نفسه انقياد وانكسار جسده بقوله: [في قبضتك، ناصيتي بيدك].

المطلب الرابع: اليقين وأثره في إجابة الدعاء؛ وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: معنى اليقين.

اليقين لغة: جاء في مقاييس اللغة: "(يقن) الياء والقاف والنون: اليقن واليقين: زوال الشك. يقال يقنت، واستيقنت، وأيقنت"(2).

وقال "ابن منظور" : "يقن: اليقين: العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر، وقد أيقن يوقن إيقانا، فهو موقن، ويقن ييقن يقنا، فهو يقن. واليقين: نقيض الشك"(3).

واليقين اصطلاحا: العلم التام الذي ليس في أدنى شك، الموجب للعمل "(4).

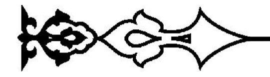
وهو أعلى درجات الإدراك قال" ابن تيمية "-رحمه الله-:" ينبغي أن يعلم أن كل

(1) مجموع الفتاوى ٧/ ٥٤١.

(2) ٦/ ١٥٧.

(3) لسان العرب١٥/ ٣٢١.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤١.



واحد من صفات الحي، التي هي العلم والقدرة والإدراك ونحوها، له من المراتب ما بين أوله وآخره ما لا يستنبطه العباد، كالشك ثم الظن ثم العلم ثم اليقين ومراتبه"[1].

واليقين هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد وهو روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، -" فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه"[2].

فاليقين حقيقة الصدِّيقية، وبه تفاضل العارفون، وفيه تنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون[3].

المسألة الثانية: تحقيق اليقين وأثره في إجابة الدعاء.

قد اشتمل حديث البحث أمورا ظهر منها تحقيق اليقن مما جعل هذا الدعاء من الأدعية المستجابة، ويمكن الوقوف على ذلك من خلال:

أ. أنه دعاء بأكمل دعاءين يدعو بهما الداع إذ هو دعاء بأسماء الله وصفاته -جلت أسماؤه وتقدست صفاته- وهو أيضا دعاء الله بحاجة العبد وفقره، وذلّته مع حضور القلب، وبهذين الدعاءين ينطق يقين الإيمان بمعاني أسماء الله تعالى وصفاته، ويقين ضعف العبد وفاقته، وهو الخطوة الأولى على طريق الدعاء المستجاب.

ب. أن اليقين بإجابة الدعاء من إحسان الظن بالله تعالى على أن حسن الظن يجب أن يصاحبه حسن العمل لذا

تصدر هذا الدعاء المستجاب التوسل إلى الله تعالى بأعظم عمل صالح يتوسل به العبد إلى الله سبحانه وهو تحقق التوحيد بأنواعه الثلاثة بدء بأهم أنواع التوحيد

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٢٩/ ٦.

(٢) الفوائد ١٦.

(٣) مدارج السالكين ٢/ ٤١٣.



وهو توحيد الألوهية بإخلاص التأله لله تعالى من المحبة والخوف والرجاء والتوكل مع عدم تعلق القلب بشيء بسواه؛ أو الالتفات لغيره، بقلب متوجهًا بكليته إلى الله جل جلاله، معترفا بجذوره الضاربة في العبودية متبرأ بذلك من حوله وقوته إذ لا غير العجز والفقر والحاجه، مثنيا بتحقيق توحيد الأسماء والصفات بالدعاء بأعظم أسماء الله الحسنى، ثم توسل باعتراف أن الله وحده مالك أمره والمتصرف فيه، المنفرد بتدبير أمره وأمر الخلق والعالم كله فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، فإن رزق عبدا له فلا مانع لرزقه، وإن قضى له أو عليه بحكم فلا معقب لحكمه ولا راد لقضائه وبه تحقيق توحيد الربوبية.



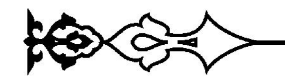
ج. أنه دعاء اشتمل على الحث على حسن الظن بالله تعالى باليقين أن من قال هذا الدعاء سيذهب الله تعالى بكرمه ومنته ما نزل بالداعي من الهم والحزن.

د. أنه كلما ازداد اليقين في نفس العبد قوي توكله، وقد كان لسان الداعي وحاله في هذا الدعاء ينطق بقوة التوكل على الله تعالى.

ز. ما فاحت به رائحة ألفاظ هذا الحديث الدالة على التسليم والرضا لحكم الرب القوي الحكيم العادل ولقضائه وقدره، ولا تثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين[١].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ١٥٠



الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

فقد منّ الله -تعالى- على بإنهاء هذا البحث، وقد خلصت من هذه الدراسة بنتائج أجمل أهمها في النقاط التالية: -

أولاً: أهمية التمسك في الدعاء بألفاظ الأدعية الشرعية لكمالها في ألفاظها ومعانيها، وجلال مقاصدها ومدلولاتها.

ثانياً: أن من أعظم الأسباب العقدية لإجابة الدعاء تحقيق التوحيد، وأن مبنى العبودية والإيمان بالله، على التسليم، وعدم
الخوض في تفاصيل الحكمة في الحكم والقضاء.

ثالثاً: أن في الهدي النبوي نصوص كثيرة تدل على الدواء النافع الشامل لعلاج الأمراض البدنية والنفسية وفي هذا دلالة
من دلالات أن الدين كامل، والملة محكمة وصالحة لكل زمان ومكان.

رابعاً: إن في قوله ﷻ: ﴿ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾[هود: ٥٦]. وقول الرسول -ﷺ-:" نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ""''
إشارة إلى معجزة علمية للقرآن الكريم والسنة المطهرة في بيان أن الفص الأمامي الجبهي في مخ الإنسان هو مركز القيادة والتوجيه للسلوك للإنساني وللدواب، وأنه مصدر الكذب والخطيئة.

خامساً: عُدّ هذا الدعاء من الأدعية المستجابة، لكماله باجتماع أقسام الدعاء فيه وهي: الأول: سؤال الله تعالى
بأسمائه وصفاته، الثاني: سؤال الله بحاجة العبد وفقره.



سادسا: أن الهم غير مرادف في المعنى للحزن، فالهم أشد من الحزن فهو حزن يذيب الإنسان، والحزن هو خشونة في

النفس لما يحصل فيها من الهم، كما يظهر الفرق بينهما في الزمن؛ فالهم ينشأ عن الفكر فيما يتوقع حصوله مما يتأذى،

فيكون فيما يستقبل، والحزن فيما وقع في الماضي.

سابعا: أن في قوله -ﷺ-: [**مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ**]: سد لباب الخوض في القدر.

ثامنا: أن انكسار القلب والنفس والجسد بين يدي الله تعالى من أجل العبادات به يستكمل العبد مقام العبودية، ويدنو العبد به من الله تعالى في لحظة واحدة، أضعاف أضعاف ما يدنو بالعمل.

تاسعا: أن اليقين هو من الإيمان بمنزلة الروح من الجسد، وهو روح أعمال القلوب التي هي روح أعمال الجوارح، فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه.

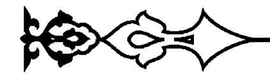
التوصيات:

في ضوء نتائج البحث السابق عرضها يمكن تقديم التوصيات التالية:

١ - نظرا لما اشتمل عليه هذا الحديث الشريف من معارف إلهية، وأمور من التوحيد وأسرار العبودية لم يتمكن هذا البحث من الإحاطة بها:

لذا يوصى بإجراء المزيد من البحوث؛ فهذا الحديث مازال بحاجة ماسة إلى مزيد دراسة وبحث فيما احتواه من أصول عقدية عظيمة ومسائل في العبودية مهمة.

٢- بناءً على ما تعانيه البشرية في هذا العصر من كثرة انتشار الأمراض النفسية: كالقلق، والاكتئاب، والوسواس القهري،...، مما تشتد معه حاجة البشرية لدراسات



علمية لتحقيق الوقاية والعلاج من المرض النفسي، لذا أوصي:

أن تقوم الجهات المسؤولة في المستشفيات والمصحات النفسية بتكوين لجان لجمع ودراسة ما تناثر من كنوز السنة النبوية في كتب الصحاح والمسانيد وغيرها من توجيهات في علاج ما يصيب الإنسان من الأمراض النفسية لتفعيلها والاستفادة منها إذ فيها العلاج الشافي الكافي كيف لا وهي توجيهات ربانية من خالق هذه النفس، العليم بما يصلحها ويأخذ بها على طريق الخير والطمأنينة والسعادة.

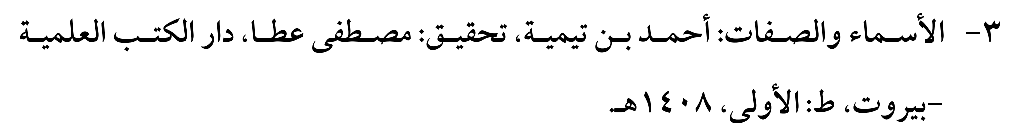
٣- تعزيز وتوظيف الشراكة بين مؤسسات المجتمع ومؤسسات البحث العلمي، انطلاقاً مما تحققه تلك الشراكة من عائدات ذات علاقة مباشرة بحياة الإنسان ومتطلباته المستقبلية بالاهتمام بنوعية البحوث التي يقدمها الطلاب في برامج الدراسات العليا بتوجيه الجهود البحثية لهم إلى الاستفادة من كنوز النصوص الشرعية التي تناولت الجوانب الطبية في الوقاية والعلاج من الأمراض النفسية والجسدية ببحوث تطبيقية تخدم مشكلات المجتمع وتلبي متطلباته، مع توفير مزيد من الدعم للباحثين بما يعزز قدراتهم البحثية، ويهيئ البيئة الملائمة لتفعيل عطائهم، وتبني نتائج أبحاثهم، خدمة للبشرية التي تزايدت معاناتها النفسية والجسدية في هذا العصر فضلا عن إبراز كمال وعظمة الشريعة الإسلامية.

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

قائمة المصادر والمراجع

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة: عبيد الله العكبري، تحقيق: رضا معطي، دار الراية – الرياض، ط: الثالثة، ١٤١٥هـ.

٢- الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م،





٣- الأسماء والصفات: أحمد بن تيمية، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية -بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي، دار الفكر سنة النشر: ١٤١٥هـ ١٩٩٥م، ط: بدون.

٥- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان محمد بن أبي بكر أيوب تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٥ – ١٩٧٥.

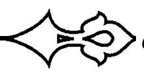
٦- بدائع الفوائد المؤلف: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ت، ط: بدون

٧- تجريد التوحيد المفيد: أحمد المقريزي، تنقيح وتعليق: أحمد طاحون، مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة، ط: بدون ١٤١٤هـ.

٨- التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير: بكر أبو زيد، مكتبة الطرفين، الطائف، ط: الثالثة ١٤١٠هـ

٩- التحفة العراقية في الأعمال القلبية: أحمد بن عبد السلام بن تيمية، تحقيق: يحيى بن محمد الهنيدي، مكتبة الرشد – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.

١٠-تفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، ت. ط: بدون.



١١-التفسير القيم لابن القيم: جمعه محمد الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت: لبنان، ط. ت: بدون.

١٢-تسهيل العقيدة الإسلامية: عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة الجبرين، دار العصيمي للنشر والتوزيع، طبعة: بدون

١٣-تفسير ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير، دار طيبة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، رقم الطبعة: بدون

١٤- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت ط: الأولى، ٢٠٠١م

١٥- التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، عبد الخالق ثروت-القاهرة، عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠.

١٦-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، ط. ت: بدون.

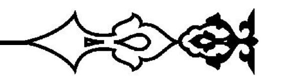
١٧-جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، ط: بدون

١٨- جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام: محمد بن أبي بكر بن أيوب قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

١٩-دعوة التوحيد: أصولها والأمور التي مرت بها: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٢٠-الرسالة التدمرية: أحمد بن تيمية، مكتبة التراث الإسلامي، ط. ت: بدون.





٢١-روضة الناظر وجنة المناظر: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع ط: الثانية ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢٢- زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر أيوب تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت ط: الرابعة عشر، ١٤٠٧ - ١٩٨٦



٢٣-سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

٢٤-شأن الدعاء للخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، ط: ٣-١٤١٢ه

٢٥-شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم: هبة الله بن حسن اللالكائي، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة - الرياض، ط: الثانية، ١٤١١هـ.

٢٦-شرح العقيدة الطحاوية: علي بن علي بن أبي العز، تحقيق: عبدالله التركي، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٢هـ.

٢٧-شرح الكوكب المنير: محمد بن أحمد الفتوحي ابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي، ونزيه حماد
مكتبة العبيكان، ط: الثانية ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ مـ

٢٨-شرح النووي على مسلم: يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، دار الخير ١٤١٦هـ-١٩٩٦م ط: بدون

٢٩-شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: محمد بن أبي بكر

بن أيوب، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٩٨هـ١٩٧٨م

٣٠-الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٤هـ.

٣١-صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، ط: بدون، ١٤١٤هـ١٩٩٣م

٣٢-صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني -مكتبة المعارف، ط: ١، ١٤١٩ - ١٩٩٨

٣٣-صحيح سنن الترمذي – ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني مكتبة المعارف:

١٤١٩ – ١٩٩٨

٣٤-صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية، ط. ت: بدون.

٣٥-صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة: علوي السقاف، دار الهجرة – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٣٦-الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: محمد أبو بكر ابن القيم الجوزية، تحقيق: علي الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط: الثانية، ١٤١٢هـ.

٣٧-عون المعبود: محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الفكر، ط: بدون، ١٤١٥هـ١٩٩٥م.

٣٨-كتاب العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط، ت: بدون.

٣٩-فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار



الريان للتراث ط. بدون. ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م.

٤٠ -فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبدالرحمن النجدي، حققه: عبدالقادر الأرناؤوط، مكتبة المؤيد – الطائف، مكتبة البيان – دمشق، ط: الثانية، ١٤٠٨هـ.

٤١ -الفروق اللغوية: أبو الهلال العسكري، ضبطه وحققه: حسام الدين مصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت، ط. ت: بدون.

٤٢ -القول الرشيد في حقيقة التوحيد: سليمان العلوان، دار المنار – الرياض، ط: الأولة، ١٤١٣هـ.

٤٣ -القول السديد في الرد على من أنكر التوحيد: عبدالرزاق البدر، مكتبة الغرباء الأثرية– المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

٤٤ -الكواشف الجلية عن معاني الواسطية: عبدالعزيز السلمان، ط: ١٧، ١٤١٠هـ.

٤٥ -لسان العرب المحيط: جمال الدين بن منظور، دار صادر – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٦ -مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن النجدي، مطابع الرياض، ط: الأولى، ١٤٨١هـ.

٤٧ -مجموعة الرسائل الكبري: أحمد بن تيمية، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط. ت: بدون.

٤٨ -مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد أبو بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ت: بدون.

٤٩ -مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: لأبي عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء – الجامعة السلفية –

بنارس الهند، ط: الثالثة – ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م

٥٠-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد الفيومي، المكتبة العلمية – بيروت، ط. ت: بدون.

٥١-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، ط: بدون، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م

٥٢-مفتاح دار السعادة: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ط. ت: بدون.

٥٣-مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني تحقيق: صفوان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٢هـ.

٥٤-معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ.

٥٥-نواقض الإيمان القولية والعملية: عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، دار الوطن للنشر – الرياض ط: الثالثة – ١٤٢٧هـ

٥٦-النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين المبارك الجزري، تحقيق: محمود الطفاحي، طاهر الزاوي، دار الفكر – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٥٧-الواسطة بين الحق والخلق: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، تحقيق: محمد بن جميل زينو، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ت: بدون.

المواقع الإلكترونية:

- أسرار الإعجاز العلمي موقع مخصص لأبحاث ومقالات عبد الدائم الكحيل.

- موقع إسلام ويب.



- موقع الإسلام سؤال وجواب.
- موقع الألوكة.
- موقع الهيئة العالمية للكتاب والسنة.

